رسائل هاربة

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الكتاب: رسائل هاربة

اسم المؤلف: فاطمة وائل

التدقيق اللغوي: عاطف حمدي

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ١٧٩٥٤ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٢٣٣-٩-٠



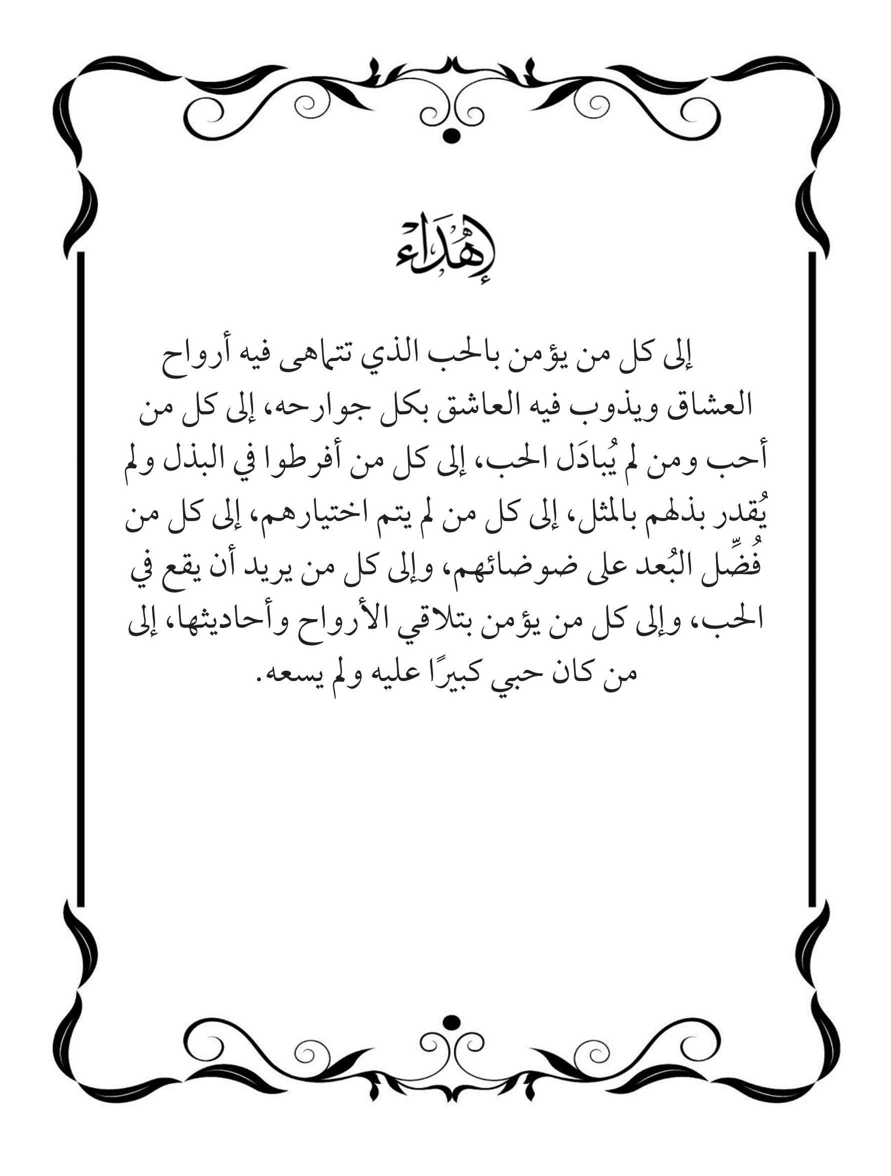

ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية


01020439639


massar.pub1@gmail.com

رسائل هاربة



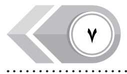


إهداء

إلى كل من يؤمن بالحب الذي تتماهى فيه أرواح العشاق ويذوب فيه العاشق بكل جوارحه، إلى كل من أحب ومن لم يُبادَل الحب، إلى كل من أفرطوا في البذل ولم يُقدر بذلهم بالمثل، إلى كل من لم يتم اختيارهم، إلى كل من فُضِّل البُعد على ضوضائهم، وإلى كل من يريد أن يقع في الحب، وإلى كل من يؤمن بتلاقي الأرواح وأحاديثها، إلى من كان حبي كبيرًا عليه ولم يسعه.

"وعن الرسائل، فهي علاج الأرق، وهي الحالة التي تصل بالإنسان أثناءها وقبلها وبعدها من حالة مُجدبة وخاوية ومُستفَزة إلى بهجة لحظة يعقبها معاناة طويلة الأمد"

– فرانس كافكا



مقدمة

الشيء الوحيد في العالم الذي لا يحتمل التأويل، الحب، كلما اقتربت من تأويله التوى واستعصى وتمرد عليك تمردًا يعيدك إلى قناعاتك: بأن الحب لا تأويل له.

والحب، بشتى أنواعه، ينتهي إلى أن لا سبب له؛ فلو وُجد السبب لكان بطلانه يُبطل الحب ويُذهبه، وعندها لم نكن لنحصل على كل قصص الحب الآسرة، وقصص الكفاح المُلهمة، وقصص النجاحات المبهرة.

ولو فتشت وراء أي شيء في الحياة لوجدت أن الحب هو أساسه؛ أمور الدنيا والدين، والحياة والبقاء، والموت والفناء، كلها تنتهي إلى الحب مهما حاولنا الفرار منه؛ فالحب بمنظور واسع يتحكم في كل شبر من وجودنا.

نولد من الحب، فلو أن الرجل لا يأتي امرأته لأنه يحبها، ولو كانت لا تأتيه لأنها تحبه، فإنهما يأتيان بعضهما لحبهما لشهوتهما ولحبهما لإشباع غرائزهما. نكبر بالحب، فلولا الحب الذي يقذفه الله في قلب كل أمٍ لولدها لمات المولود بعد بضع ساعات أو أيام أو

سنين. نحيا بالحب، حبنا لضوء النهار ولعتمة الليل، وحبنا للحياة ولرغد العيش، ونسعى في الحياة بالحب، نسعى وراء المال -وراء حدود حاجتنا له- حُبا فيما يوفره من راحة، نسعى وراء الصحة حُبا في البقاء، ونسعى وراء العلم حُبا في الرفعة والسمو، ونسعى في علاقاتنا حُبا في الأنس، كما نسعى للوحدة حُبًا في الهدوء، ونعبد الله ونتقرب إليه بالحب، وحبًا في الوصول لجنته.

غير أن كل هذه الضروب هي مما قد يغيب عن العقل أنها من الحب، ليأتي شكل آخر للحب يكون فيه كل معاني الحياة والوجود والجمال، هو الذي قال فيه الرافعي أنه منزلة بين الإنسانية والألوهية. يقع المحبوب من قلب محبوبته ما يجعله لها الآمر الناهي، صاحب القرار في سعادتها أو تعاستها وحياتها أو موتها، فهو لها في منزلة فوق منزلة البشر وله عليها من السلطة ما ليس لبشر، وتقع هي من نفسه ما يجعلها تملكه وتسوقه حتى وإن لم تعِ أنها تفعل.

ذلك الحب الذي يضرب قلب رجل وامرأة في ذات اللحظة، فهما بعد تلك الصعقة ليسا كما كانا قبلها، وكأنهما قد هُديا إلى شيء خفي عنهما بحثهما عنه وحاجتهما إليه، وهما قبله غير مدركين لحاجاتهم وبعده غير مدركين طريقة عيشهم دون تلبيتها. فإذا استقر الحب في قلبيهما وعرفاه، فَهِمَا به من معاني الحياة ما لن يفهمه سواهما، وعرفا به من الدنيا ما لن يعرفه سوى مُحبٍ مثلهما، وفجأة

تكتسي كل كلمات الحب التي طرقت مسامعهما ذات مرة بمعنىً حقيقي مُستمد من بعضهما مُستَقَرٍ في عقل الآخر. وهما معا كأنهما في عالم آخر غير العالم، وعلى أرضٍ أخرى غير الأرض، وكأننا نراهم ويروننا ولا يرون سوا بعضهما. ذلك الحب الذي يسطو على القلب فيضع نواميس جديدة وتغدو شريعته فوق كل شريعة، ويلعب بمقاديرِ الزمن، فالدقائق والساعات والأسابيع والشهور تبدأ وتنهي وتُحسب نسبة إلى اجتماع المحبوبَيْن وفراقهما؛ وفي الاجتماع يجري الوقت كالنهر، عذب سائغ سريع، يعرف مصبه منذ أن انطلق من منبعه، والوقت في الفراق كالبحر، مالح قاسٍ بطيء، يهيم في شتى أنحاء الأرض، يختلط بعضه ببعض، ويشبه بعضه بعضًا، ولا شيء يميزه إلا نقطة التقائه بنهرٍ يصب فيه.

هو الحب الذي يختزل كل معاني السعادة والراحة في شيء واحد، هو المحبوب، ويختزل كل معاني الشقاء والتعاسة في شيء واحد، هو المحبوب. ولا يكون شقاؤك به إلا برهانا آخر على حبك، ولا تكون سعادتك به إلا برهانا على حبه.

يطرق الحب باب كل منا بطريقة فريدة، يغير خارطة سيره كل مرة، يُعجز بني آدم عن فهمه، توقعه، إرشاده، أو حتى دراسته؛ فلا يتفق اثنان على الطريقة التي نشبت بها نيران الحب في قلبيهما ولا على اللحظة التي استحالت فيه هذه النيران بردًا وسلامًا على

قلبيهما. ولكن، إذا اتفق المحبون -على مر العصور- على شيء، لكان أن الحب ضرب من ضروب الإيمان؛ فليس لزامًا عليك أن تعقل الشيء حتى تؤمن به، وليس لزامًا عليك أن تجد سببًا لكل شيء حتى تؤمن به، ولكنك تؤمن. كذلك هو الحب، غير معقول ولا منطقي وتغيب عنك أسبابه مهما بحثت عنها، ومع ذلك تؤمن. قد لا يسع الحب عقلك، ولكنك -على أية حال- تؤمن.

وأنت هنا لن تجد ضوابط الحب أو أحكامه، أو طرق العناية به وكيفية إزهاره، هنا سترى فعل الحب الخالص، دون أي تدخل من المنطق البشري لتطويعه للحياة البشرية حتى لا يوأد بين ليلة وضحاها؛ لعجز العقل القاصر عن استيعابه وسعة القلب المترامية لاستيعابه.

ولو أن شيئا واحدًا يُخرِج الحب من حدود الأوهام إلى مقاييس الواقع، لكان التواصل والاتصال، وهنا يأتي دور الرسائل؛ فلو أن الحب حبيس القلب لا يصل إلى أهله كان عدمه أفضل.

تؤتي الرسائلُ صاحبَها ثمرتان، إحداهما وقتية وأخرى مُرتقبة، أما الأولى فتأتي من أن الرسائل هي إحدى طرق تفريغ طاقات النفس، والحب طاقة كغيره من الطاقات، لو ما أُخرِجَت بشكل أو بآخر تراكمت حتى أهلكت صاحبها. وسطوة الشعور على القلب

تُحرك قلم الإنسان بشكل لم يكن يتوقعه أو يدرك قدرته عليه، فتخرج الكلمات منسابة بلا شقاء، سلسة بلا عناء، ولا يهتم عندها المُحب لترتيب أفكاره لأنها إذا انسكبت من القلب وصلت القلبَ بلا خرائط ترشد العقل القاصر، أما الفائدة الأَخرى المحتملة، فتعتمد على متلقي هذه الرسائل؛ فإن المحبوب إذا تسلم رسائل مُحبه وبعثت في نفسه من الجمال والحياة والراحة والشغف ما حمّلها به كاتبها، وعلم موقعه من نفس مُحبه، فقام فبث هذا الشعور كلمات تفيض من قلبه وتنسكب به إلى مُحبه، تصل إلى المحب فتسقي قلبه بأضعاف أضعاف الحب والوجد الذي حَمّل رسائله به. وهنا يتجلى جلال الحب، أنه يقوم على العطاء، والأخذ منه يزيد مقدار العطاء كلما تقدم به العمر.

تقص عليك هذه الرسائل أحداثًا حقيقية، تمت كتابتها على مدار عامين كاملين، لتحكي تفاصيل حكاية حب أخرى بين قلبين اختارهما الله ليقطعا طريق بعضهما، ولتكون توثيقًا لأمواج المشاعر التي تضرب القلب في الحب -قلب المرأة بشكل أخص-. لم تكن تعرف بطلة هذه الرسائل العشق بحق حتى عاشت هذا الحب بكل دقائقه، السعيدة منها والتعيسة، القريًبة فيها والبعيدة، الآمنة منها والحائرة.

جاء هذا الحب فعلمها ماذا يعني أن تكون عاشقًا وهي التي

ما كانت تحسب أن في قلبها مثل هذه القدرة على العطاء، جاء هذا الحب ليظهر لها موضع قوة ما كانت تحسب أنها تملكها.

عرفت الحب، الذي يُظهر من الأنثى الخصال التي تجعلها أنثى ويظهر من الرجل الخصال التي يُعرف بها أنه رجل - لا علاقات أشباه الرجال وأشباه النساء التي شوهت صورة الحب وسلخته من جلدته وجعلته مسخًا يشمئز العاقلون عند ذكره - بعد أن كانت على شفا هاويةٍ إلى غياهب السخط ونكران وجود الحب سوى كشيء مبتذل سخيف وكذبة مبتدعة.

ولكنها عرفت العشق، فأخذ بيدها بعيدا عن الهاوية حتى أصبحت في مأمن، فأدركت أخيرًا معنى الحياة وغايتها ورأت الدنيا لأول مرة بالألوان عوضًا عن الأبيض والأسود اللذان نادرًا ما تخللهما الرمادي. جاء هذا الحب فأصبح هو الوجهة، والغاية، والطريق، والأنيس، والرفيق، كلهم في شخص واحد. بعض رسائلها وصلت له، وبعضها الآخر ترجو أن يَصل إليه في يوم من الأيام، جاء هذا المعشوق فلمس روحها، بل اخترقها اختراقًا، وهي صاحبة روح أبية سامية، لا يرقى لها إلا قلة قليلة نادرة، كان عقله يخاطب عقلها وروحه تخاطب روحها وعيناه تؤنسان عينيها، وقع عقلها في حبه، وإذا وقع العقل واتفق مع القلب فلا خلاص مما قد وقعا فيه.

تقص هذه الرسائل قصتها في أربع فصول، فهم لقاء، ثم حب، ثم فراق دون رضا، ثم أهدت قصتها نهاية تستحقها في عودة؛ فها هي كل يوم تحبه أكثر من ذي قبل، وتمني نفسها أنها يومًا ما ستراه، وستتوقف الأرض عن الدوران حتى ترتوي عيناها من مرأى عينيه. لم تختر يومًا أن تقع في حبه، والآن لا تستطيع الخروج مهما اختارت الخروج.

لقاء

الرسالة الأولى

ألا ليتك استأذنت وطرقت باب قلبي قبل الاستحواذ عليه بكل هذه الجرأة، أخبرني أنى لي أن أمتلك زمام قلبي أمام عينيك؟ نعم، كل هذا الاضطراب الذي يعبث بروحي ما هو إلا تأثير عينيك يا هذا.

ألا ليتك تعتمد نظاراتك حين مخاطبة الأخريات؛ ففكرة أن تشاركني إحداهن في التغزل بعينيك تزيد اضطراب روحي، فكيف لو شغل قلبك بغيري؟!

أتمنى لو أني أكون بخاطرك بالقدر الذي تكون فيه بخاطري ووجداني، تربعت صورتك في عقلي وجُلت في حجرات قلبي حتى أحفظتك كل زواياه، فهل يا ترى تأخذني أنت أيضا في رحلات إلى حجرات قلبك؟

ويظل هذا الذي بيننا من الصمت الكثير، والكلمات المحدودة، والكثير الكثير من العراقيل كقصة ينسجها قلبي وعقلي معا، وكل هذا بسبب عينيك وابتسامة عابرة من شفتيك، قل لي بربك، أين العدل في هذا؟

أتعلم؟ كل يوم أسترجع تلك النبرة التي خاطبتني بها هي نفسها التي تخاطب بها الجميع، ولكن لا أدري لماذا تفعل بي كل هذه الأفاعيل.

ألا ليت الأخريات عمياوات عن عينيك صماوات عن اهتزاز أحبالك الذهبية.

يا ويلي، ماذا أفعل بنفسي؟ أظنني أنجرف بها الى الهاوية.

أتعلم؟ كل يوم يقرر عقلي أن أتوقف عن ملاحقة صورك في كل مكان والاستماع الى صوتك في كل فرصة ممكنة، ولكنه يخسر أمام قلبي الذي يجد فيك سببًا حلوًا للعيش لأجله وسط كل هذه المعمعات.

وختاما، أتمنى أن ينالك بعضٌ من اضطراب روحي بك، اضطراب بي ولي!

***

الرسالة الثانية

عزيزي مرحبًا

يا من لك اكتب كل رسائلي تلك التي أرسلها لك وتلك التي

أحتفظ بها بين أعز الوريقات إلى قلبي، هذه المرة اكتب لك، ولكن ليس غزلا في عينيك أو هيامًا في رائحة عطرك، هذه المرة أكتب لك ضيقي واختناقي ومخاوفي وتساؤلاتي، هذه المرة لستُ سعيدة وضاحكة كعادتي، لا تسري الحياة وحيويتها في عروقي كسابق عهدي القريب، هذا الذي عرفتني فيه، هذه المرة يا عزيزي أختنق، أشعر وكأنني جسد غير قادر على الحياة، متعبة من كل شيء ومن لا شيء أتساءل كيف انقلب حالي بهذه السرعة العجيبة، منذ أيام فقط كنت أكتب لك عن أكثر الأشياء جنونًا التي قمت بها مؤخرًا.

لعنة الله على الكتابات، أشتاقك، أتمنى لو أخبرك كل تفاصيل حياتي وجها لوجه، وأرى ابتسامتك أمامي دون تخيلها وأنا أكتب هذه العبارات، ولكن ماذا أفعل؟ وماذا يدريني أن رسائلي تصلك؟!

أتعلم يا عزيزي؟ لا يضرني حالتي هذه من تعب وانطفاء، ولكن ما يضرني حقا هو ذلك الإحساس القذر بالخوف الذي يطاردني، أخاف منك، تخيل! هل ستظل تحبني وأنا مُطفأة، وأنا غائبة عن الشغف؟ هل ستظل تحبني كما أحببتني عندما كنت أضيء يومك وأبث فيه الابتسامات؟ هل ستحبني وأنا شاحبة المظهر وعيناي محاطتان بسحابتين سوداوين لا تدري متى يأذن الله لهما فتمطران؟ هل سترافقني في حالتي هذه إلى أن أتعافى منها؟

لعنة الله على الاحتمالات يا عزيزي! لو كنت أعلم كيف ستتصرف لما بذلت كل هذا الجهد في الخوف، كنت سأحمل ضيقي وتعبي في رحلة وحدي، رحلة مشابهة لرحلات كثيرة قمت بها، لإيصاله لمحطة القطار المناسبة، حينها، أتركه ليغادرني لأجل غير معلوم ربما قريب وربما بعيد، المهم أني كنت أعلم كيف أتعافى بنفسي، ولكن الآن لدي أنت، وآه منك يا أنت، كل رجائي من الله وليس منك أن يصرفك عن قلبي إذا ما نويت هجره وجرحه، وأن يقدرني على التعافي ككل مرة، من انطفاء شغفي... ومنك!

***

الرسالة الثالثة

لا أستطيع التوقف، أظنني على حافة إدمانك!

تبا لك ولعينيك ولصوتك يا هذا!

***

الرسالة الرابعة

أتجنبك، وأخاف أن تفضحني لمعة عينيّ وابتسامتي عند الحديث

إليك.

أعلم أنك تلحظني كما ألحظك، وأعلم أن تجنبي للحديث رغم وعدي بالمحاولة يثير عدة تساؤلات في عقلك كنت أتمنى أن تُثار في قلبك.

عظيمة هي طرق التواصل الافتراضية، بل العالم الافتراضي برُمَّته، كيف يتيح لنا الاختباء من أنفسنا ومن الآخرين، يتيح لنا أن نكون ما نريد بلا خجل.

***

الرسالة الخامسة

يا إلهي!

كم أتمنى أن أمزق ذلك الرداء الذي يحيط خصوصيتك، أن أقتحم عالمك ودنياك، أستحوذ عليك بكل تفاصيلك، برغبة منك دون أن أشعر بأني غريبة، أريد أن أعرف خطط يومك، وبعدها أريد أن أعرف كيف سار، أريد أن أتفقد عودتك للبيت سالمًا، من رافقك في الطريق، من آنسك في وحشتك، أريد أن أكون آخر ما تنام عليه من حديث وأول ما تستيقظ عليه من ابتسامة.

اعذرني يا عزيزي، فأنا كائن أناني لأبعد الحدود عندما أقترب، أقترب كليًا، أتملكك بالكامل، تكون لي وحدي مهما كلف الأمر؛ لذا تجدني في أناة عجيبة، ليس خوفًا من الإقدام تجاهك، وإنما لست أدري مدى استعدادك لتحمل حب تملكي لك!

***

الرسالة السادسة

أتمنى أن أكون أنا فتراتك المتقطعة من السعادة بين ضغوط هذا العالم المستمرة.

***

الرسالة السابعة

ربما لم نتحدث كثيرًا بالأمس، أو هذا الأسبوع أو آخر أسبوعين، ولكني يا عزيزي أعيد قراءة كل حرف تحادثنا به، وأعيد على مسامعي ذبذبات حنجرتك كل يوم.

أنت الإدمان الذي لا أحبه ولا أقوى على مغادرته... أو ربما، لا أريد الإقلاع عنه!

***

الرسالة الثامنة

ألم يتوسط صدري عندما أفكر بك واختناق يحيط حنجرتي عند ذكرك، أليس من المنطق أن أتوقف؟ أليس من المنطق أن أنسحب؟ أن أعاقبك ولو قليلا، حتى لو أن عقابي لن يؤثر فيك؟ يا لبرودتك! هزمت ديسمبر يا عزيزي.

ولكنه ألم أحبه واختناق أركض إليه بقدمي. ألعن غبائي كل يوم أكثر من ذي قبل، كيف يمكن لشخص أن يؤذي آخرًا لمجرد أنه يحبه؟!

***

الرسالة التاسعة

أصبحت أشتهيك أطفالًا مؤخرًا، تباً لك، تبًا لك للغاية!


حب

الرسالة العاشرة

لم أصدق عينيّ عندما رأيتك تمر في موقف الحافلات، ولم أستطع تحريكها عنك عندما التقطتها عيناك.

عندما تقابلنا في ذات اليوم آخر النهار مرة أخرى، ولم تدع الأقدار مكانًا لي في الحافلة لأجلس فيه سوى جوارك، شعرت بالدماء تتدفق لتملأ وجنتيّ.

ليتك تعلم أن لقاءنا هذا سيجعلني أبتسم أسبوعًا كاملًا، شيء ما يخبرني أن طرقنا قد تقاطعت لترسم قصة فريدة.

***

الرسالة الحادية عشر

أما الآن، وقد انتهت فترة انبهاري بك، أصبحتُ أراك بشكل أفضل، إنسانًا لا ملاكًا، أصبحت قادرة على تقبلك بكل ما فيك من عيوب ومحاسن... نعم انتهت فترة انبهاري وأصبح عقلي ذا رأي في العملية... انتهت فترة انبهاري، ولكن رغبات قلبي لم تتغير، أرى

فيك الصديق والشبيه مع اختلاف جميل، أرى فيك ذلك التوافق الذي يولِّد بيننا بعض المشادات أحيانًا... تبًا للمشادات، أشتاقك، أريد البوح بكل ما يختلج صدري إليك، ولكن فلندع الأمور تسير كما يشاء القدر، كما كتب لها أن تكون، أن تجمعنا الصدف لمرات أُخرى أكثر وأجمل، أتعلم؟ أجمل الأشياء هي تلك التي تأتي دون تخطيط، ربما التقت قوة تفكيري فيك مع رغبتك في لقائي فوقع ذلك اللقاء... أتمنى أن تُمعن تفكيرك فيّ لعلنا نلتقي قريبًا.

***

الرسالة الثانية عشر

كنت أظنني أتعافى منك، بينما أنا أغرق كل يوم أكثر من ذي قبل وكأنني كنت في نشوة سكري لا أكثر، كالمدمن حين يظن وكأنه في أوج شبابه وأتم صحته، بينما هو فقط تحت تأثير ما يسكن إدمانه....

***

الرسالة الثالثة عشر

اليوم أخبرتني بما يشبه النصح ألا أنجرف وراء مشاعري، وأن

أتحكم بها لا أن أجعلها تحركني، ويا للسخرية! أخبرتني أن أرتب أولوياتي... ما أحمقك!

لا تعلم أنى أكتبك سطورًا كي أتخلص منك وأخرجك من رأسي، وأنى لك أن تعلم أصلا؟! في قائمة أولوياتي لست أولها ولست آخرها... ربما خطأي أنى شاركتك بعض خواطري عنك، لم يكن من المفترض أن يحدث ذلك، ولكنه حدث... لماذا يا عزيزي يفعل الإنسان شيئًا متيقنا من حمقه وخطئه؟

***

الرسالة الرابعة عشر

هذه المرة فزع قلبي عند رؤيتك موجودًا في المكان... ثم هدأ، لم يكن قلبي ليهدأ في جوارك أبدًا، هذا بالتحديد ما كنت أحاول أن أخبرك إياه.

أن تملك روحي السكينة، ألا أتكلف الابتسامة حولك ولا المثالية، أن أكون أنا، بل أكون في أسوأ ما قد أكون عليه، رغم حديثنا الذي أخذ طورًا جيدًا هذه المرة إلا أنك مازلت تتجنب النظر في عيني، وبالمناسبة عيناك تختفيان عندما تضحك...

لا أعلم، ربما تخاف أن تُفضح إذا أطلت النظر أو ربما كعادتي الساذجة... أبالغ، ربما... مازلت في دعائي... مازلت أتمناك.

اليوم كنت على وشك أن أسالك متى ستعود للمنزل؟ هل الآن؟ هل سنمضي معًا في الطريق؟ هل سنتجاذب أطراف الحديث كتلك المرة التي يعلم الله وحده إذا كانت ستتكرر؟ ولكن كعادتي أتباطأ، وأتراجع مرارًا وتكرارًا... في المرة القادمة سأجازف وأتمنى ألا أخسر النزال!

***

الرسالة الخامسة عشر

لا أدري هل أبالغ أم أتوهم؟ أو ربما فكرة اتصالنا الروحي تكبر في رأسي بغير سبب كسرطان متفشي... أو ربما أكون فقط محقة؟

لا أعلم حقا أيهم يصدق حالتي، ولكنني أشعر باختناقك!

وكعادتك، تضعني موضع حيرة، لا أدري هل أريد أن يخيب حدسي وأن يكون مجرد أوهام عابثة وأن تكون سعيدًا مبتهجًا كما أتمناك دائما أن تكون، أم أريد أن يصدق حدسي هذه المرة أيضا فأتأكد أكثر من اتصال أرواحنا؟!

***

الرسالة السادسة عشر

دائمًا ما تكرر أنك لا تعلم ما يثير اهتمامك بي، وأنك لا تعرف لماذا تقاربنا بهذه السرعة رغم شخصيتك الانتقائية... ولكن يا عزيزي أنا أعلم، فقد كنت أنت دعوتي الفجرية ذات مرة ودعوتي في سجودي تارة أخرى، لم يخيب ربي رجائي يومًا، حاشاه، ولعله استجاب!

دعوته أن تكون لي إن كنتَ خيرًا لي وكنتُ خيرًا لك، دعوته أن يصرفك عن قلبي وعقلي إذا ما كنت شرًا وضعفًا، وأظنك أولهما!

***

الرسالة السابعة عشر

أكرهك عشقًا!

زرتني في أحلامي أخيرًا، و يا للأسف!

رمقتني بنظرات غريبة، لم أدر أهي نظرات كراهية؟ شر؟ تحذير من الاقتراب؟ عبث؟ أم ماذا بالله عليك؟

حتى في أحلامي تؤرق تفكيري وتوترني وتشغل بالي بك!

تعلمت منك أشياءً ربما أكثر ما لمسته منها هي أن الذكور كذلك يمرون بفترات تقلبات هرمونية، ربما أكثر من الفتيات يا عزيزي.

ولكننا ولأننا فتيات خُلقنا بحب الثرثرة فعُرف عنا تقلب مزاجنا وتعكره سريعا، أما أنتم يا عزيزي فتقلباتكم المزاجية جحيم بحق!

لا أعلم هل عليّ حينها أن أقترب منك لأعلمك بأني معك، وسأظل معك، وأني أتقبلك كما أنت بكل ما فيك؟ هل عليّ أن أخبرك عندما يقول لي حدسي بأنك لست بخير، أني أشعر بك وأن اختناقك وانطفاءك يشغلانني ويطفئان مهجتي؟!

أم يا ترى أتركك حتى تهدأ براكين هذه التقلبات المزاجية أو تعود الفرحة إلى روحك كأن شيئا لم يكن؟

مهما كان الخيار أو مهما كان الحل فأنت دائما في عقلي، أخرجك تارة سطورًا على ورق، وحروفًا منمقة قدر المستطاع؛ حتى أوفي ولو قدرًا بسيطًا من وسامتك.

منذ أن عرفتك واقتحمت قلبي وحياتي بهذه الجرأة، وسطوري

عبارة عن تساؤلات وتساؤلات، وحيرة وترقب وهلع وفزع، ولكن هذه المرة أظنني أعرف ماذا سأفعل.

سأترك لك القرار يا عزيزي، ما سأفعله أني لن أفعل شيئًا، هذه المرة سأدعك تحدد طريقة تعاملي معك، سأدع الأمور تسير كما كتب لها أن تكون، وأن يرينا القدر مفاجآته الجديدة.

وختامًا، أتمنى أن يصيبك بعض دواري وحيرتي منك، حيرة بي ولي!

***

الرسالة الثامنة عشر

زرتني مرة أخرى.. زرت أحلامي!

هذه المرة ليست كسابقتها أبدًا، كنتُ أسقط يا عزيزي وأفقد وعيي، ثم جئت أنت من حيث لا أدري والتقطت كتفي بين أحضانك واحتضن كفك كفي كما يحتضن الوالد ابنه.

من المؤسف أن الأحلام لا تذكرنا باللمسات، بل تترك فينا فقط جمال تلك الأحاسيس البريئة... كنت حنونًا بدرجة لا توصف، كنت لي فقط أمام الجميع!

***

الرسالة التاسعة عشر

يا لك من ساحر ويا لي من حمقاء!

اقترابك مني كل يوم، اقتحامك عالمي دون استئذان، كل هذا يؤرقني، يشغل تفكيري ويشل حياتي.

أفكر فيك مع كل شيء أنجزه وأفعله ... تستهلكني وأنا أرضى، تستهلكني بإرادتي وضد إرادتي... أريد تهنئتك على ما سببته لي من دوار وأحييك على قدرتك الفائقة على إثارة الضوضاء في عقلي.

أكثر ما يقلقني أن أكون كغيري بالنسبة لك، أن تكون حقا شيطانًا رجيمًا وأكون أنا من اخترت دخول النار لك... ربما سأنسحب الآن قبل فوات الأوان ...ربما سأنسحب بعد كل ما جرى وكل ما حدث... ربما سأنسحب لأضمن لما بقي من روحي أن يظل نقيًا، ذلك النقاء الذي جذبك لي وأعجبك فيّ.

أتعلم؟ رغم كل ما مر بي، لم يجرؤ أحد أن يغير نقاء قلبي وجمال روحي، ربما أصبحتُ أقسى -نعم- ولكن قلبي مازال قادرًا على العطاء والحب، ولن أسمح لك، كما لم أسمح لغيرك أن يبدل ذلك

فيّ.

كل مرة تنادي فيها اسمي بتلك الطريقة...تلك التي تجعلني أذوب ويذوب قلبي ويتأرجح بين أضلعي وفجأة تتحول أحشائي إلى فراشات...كل مرة أنسى أفعالك المحيرة والمريبة في نفس الوقت الذي تزداد فيه مخاوفي يوما عن يوم...

ماذا أفعل؟ وماذا جاء بي إلى هنا؟ وكيف وصلت؟ بل كيف سمحت لنفسي أن أصل؟

حقًا صدقوا، يكسر المرؤ قواعده لشخص واحد فقط، هو ذلك الشخص الذي يوجع قلبك أكثر من غيره!

***

الرسالة العشرون

يثنون على كتاباتي وعلى اختياري كلمات منمقة -حتماً لهم كل الحق في ذلك- ولكنهم غفلوا عن السبب وراء هذه الكلمات... أنت!

وجودك زاد إلهامي أضعافًا مضاعفةً، أصبحت كلماتي أجمل وكأنها عُدِيت من وسامتك، وأصبحت مقالاتي تجذبهم بعدما

التقطت بعضًا من جاذبيتك، أهيم كل يوم أكثر من سابقه، ولكن حمدًا لله ليس بك؛ بل بحبي لك.

من أهم ما علمتني إياه الحياة ألا أسلم قبل أن أستلم...نعم قلبي وعقلي يشغلان بك طويلا؛ عقلي يشغل بفرض الاحتمالات وقلبي يشغل بتفاصيلك، ولكن لا يزال المنطق شديد الحزم على كليهما، فإما أن تلين لي وتتنازل عن كبريائك ومخاوفك، وإما يظل قلبي مشغولا بك بين الحين والآخر، يسلي نفسه، ينجو بك من صراعاته، دون أن يطلب منك شيئا، حتى يأذن الله له بنسيانك.

***

الرسالة الحادية والعشرون

أعلم أن الإنسان يستيقظ كل يوم بفكر وعقل جديد، وقد يقرر فجأة قرارات غريبة، ولكن أظن أنني قد أمعنت التفكير فيما سأفعل.

كنت قد وعدت نفسي وقلبي ألا أسير إلى الأذى بنفسي، أني إذا بدأت بالاختناق سأنسحب بكل هدوء... لن تشعر بي مطلقًا.

أشد ما كان صدري ينقبض له أن أكون وحدي من يبذل، وأن

تعتاد أنت بذلي حتى تصل لإهمالي، حتى لو كانت هذه طبيعتك فبئس الطبيعة هي، تبًا هي لا تلائمني.

شخص اعتاد الخذلان يحتاج أن يشعر بين الحين والآخر أنه مطلوب ومرغوب، يحتاج أن يسمع كلمات تطمئن قلبه أنه في المكان الصحيح.

حتى الآن أنت تمتنع عن كل ذلك، ربما ذل لسانك ببعض اللطافة والطمأنينة بين الحين والآخر، ربما امتناعك بسبب غباء منك أو ربما جهل ليس أكثر بما يفترض أن تفعله معي، أو ربما بلغ بك عقلك مبلغًا كبيرًا فلا تريد أن تعطي أملًا كاذبًا ووعودًا لن تتحقق، ولكن ما يثير أعصابي أنك أصلا لا تحاول، وهذا أشد ما يخنقني ويدفعني إلى السخط، ليس عليك في المقام الأول وإنما على نفسي؛ فأنا من سمحت للأمور أن تصل إلى هنا ظنًا مني بمنتهى الحمق أنك ستفتح قلبك بنفس مقدار ما فتحت لك قلبي، ولكن يا للسخافة، لم يحدث!

أحيانًا أتساءل لما يكون الحوار معك ثقيلا إلى هذه الدرجة، لماذا لا يسير كحوار بين صديقين طبيعيين كما ندعي أننا هكذا؟

وبناء على ما سبق أعلنت الجهات الثلاث، قلبي وعقلي والمنطق، القرار الآتي: لا مزيد من البذل، نعم، لا مزيد من البذل، لن أقول

أني سأنسحب لن يكون عادلًا بالنسبة لك، ولكنه شيء أخف من الانسحاب وأشد من الهجر... فلنرى ماذا ستبذل أنت حفاظًا عليّ، أم أنى وأخيرًا سأتحرر منك إلى الأبد؟

ربما استجاب الله دعائي تلك الليلة بطريقة أخرى، ربما أراد أن يريني فيك ما أكره حتى أختار ما قُدر بنفسي، ولكن من يعلم ماذا سيحدث غدا....

***

الرسالة الثانية والعشرون

عزيزي..أتمنى أن تكون هانئًا بنومة مريحة وأن تكون أحلامًا رائعةً تدور في رأسك الآن.

أولًا وقبل كل شيء، أريد أن أعبر عن مدى تقديري (في الواقع حبي) عندما تأتي لتبدأ معي حديثًا، والمجهود الذي تبذله لكي ترد على ما أطرحه على وسائل التواصل، لا يمر عليّ مر الكرام، وإنما يمر بقلبي، أتمنى لو تستطيع رؤية الابتسامة التي ترتسم على وجهي عند رؤية اسمك على الشاشة.

ربما تستغرب، كيف لي أن أعبر عما أشعر بكل هذه السذاجة؟

والإجابة يا عزيزي هي من أجمل ما علمتني إياه هذه الدنيا...غدًا ليس بمضمون، من يدري متى تكون ليلته الأخيرة؟ ومن يدري إذا كنا سنرى بعضنا مجددًا حتى نبوح بما نريد أم لا؟ لذلك أبوح قبل فوات الأوان.... أؤمن جدًا بأننا من نخلق الوقت المناسب لكل شيء وأنه لا وقت مناسب يأتي من تلقاء نفسه.

ثانيًا، وقد عرفت سبب حبي أن شاركك ما أشعر تجاهك، هي أنى أعتذر... ربما يبدو اعتذارًا بدون سبب، أو اعتذارًا سطحيًا أو ربما لو حقًا انزعجت مني بقدوم الصباح ستنسى سبب الانزعاج حتى... ولكنها عادة فيّ، لا أحتمل فكرة أن ينام أحد الغالين على قلبي وفي قلبه غصة أو حرقة أو ضيق...أعتذر إن كنت سببت لك أيا من ذلك، لا يهون حزنك عليّ أبدًا حتى وإن لم أكن سببًا له.

اعذر فترة انطفائي يا صديقي، تلك التي أشاركك فيها الصمت أكثر من الكلمات وتلك التي تخرج فيها كلماتي خالية من الشعور، ربما يومًا ما يجيد أحدنا لغة صمت الآخر...

وختامًا، أحب صداقتنا بكل ما فيها بأمواج المشاعر العاتية وبفترات الانطفاء، بلحظات النكش "وناقر ونقير" ولحظات الحوار كأنضج شخصين على الأرض، أحبها بلحظات صراحتنا واكتشافنا لبعضنا البعض، وبلحظات يأسنا أحيانا من فهمنا أحدنا

الآخر.

أتمنى أن تكون رسالتي سببًا في رسم الابتسامة على وجهك عندما تقرأها بعينيك الآسرتين يا "نابلسية".

***

الرسالة الثالثة والعشرون

أصبحت حقا إدماني، أبغض ذلك الإحساس حد الألم!

***

الرسالة الرابعة والعشرون

مر اليوم الثالث علينا دون حديث، لا أدري هل أنا أتعافى منك، من إدماني لك، أم أشتاق لك كل يوم أكثر من ذي قبل؟ ربما ما نمر به اختبار لا أكثر.

عقلي عنيد جدًا يأبى تصديق فكرة أنك عابر مثلهم، لا يعلم أنه هكذا يؤذيني. عقلي وللمرة الألف يعاملك أنك ستبقى مهما بعدت، ومع كل صوت يصدر من تلك الآلة المسماة الهاتف يركض قلبي بلهفة لعله إشعار لرسالة منك، لا أدري متى ستعود ولا

أدري إن كنت ستعود أصلا، ولكن، إن لم يكن لي نصيب فيك؛ فعسى أن يؤخر الله عودتك حتى يقسو قلبي عليك... تعبت من التفكير وأعياني عقلي!

***

الرسالة الخامسة والعشرون

لم تعد الصباحات كسابقتها أبدًا، أصبحت تحمل رائحتك وبعض أشباح من صوتك، هلّا تعود يا بعض روحي إلى روحي... هلا تصبح لي مأمني وأماني؟

***

الرسالة السادسة والعشرون

عزيزي..

إذا كان الخيار فيما تفعله أرواحنا بعد الموت لنا، لاخترت أن أزورك في منامك كل يوم أو كل يوم ويوم، لاخترت أن أحاوطك دائما بروحي وأن أهمس لك كل صباح ومساء أحبك...

لاخترت أن أطوف على قلوب المتعبين والخائفين أطمئنهم،

وأحتضن أرواحهم، أو ربما أكتفي بك وبروحك عنهم!

لاخترت أن تطوف روحي على قلوب الأطفال تستشعر فيهم براءة العالم، تخاطبهم بأن يتماسكوا وبأنهم أصحاب المستقبل.

لاخترت أن ألازم الآباء والأمهات وأمنعهم عن كل هفوة وخطأ وذلة، وأعود بعدها لروحك أنت وأزورك في منامك وأجاور روحك في سكينة!

***

الرسالة السابعة والعشرون

أعزم أن أهجرك أو بمعنى أدق: أن أهجر حبك، أصمم على أحكم قرار في حياتي يومًا ويومًا وبعض يوم، ثم في نهاية المطاف يغلبني حنيني إلى صوتك، وأجدني أضعف من أن أتخلى.. يغلبني حنيني، ولكن... ولكنك لن تنال مني مجددًا، أبدًا!

***

الرسالة الثامنة والعشرون

الآن تعود وكأن شيئًا لم يكن!

فقط أتمنى لو تخبرني أنك اشتقت -ولو بعضا-من مقدار شوقي.

لو تخبرني أنك عانيت كي تبتعد كل هذه المسافة -كما عانيت- لأسمح لك بها.

لو تخبرني قراءتك رسالي مرة تلو الأخرى -كما كنتُ أفعل-.

لو تخبرني أن شوقك لي فاض حدود صبرك -كما فعل الشوق بصبري-.

أن أعلم فقط أنك قاسيت بعض ما عانيتُه.

ليتك لا تغيب أبدًا، أو لا تعود مرة أخرى!

***

الرسالة التاسعة والعشرون

جلست إلى قلمي علّي أكتب فيك غزلا جديدا، وهممت إلى أوراقي وموسيقاي علّي أنسج عن عينيك بعضًا مما يدور في ذهني، ربما... من يعلم؟

تملكت مني قدر أني لا أقوى أن أصف فيك إنشًا واحدًا، ولماذا أصف، يكفيني من وجودك في عقلي ما يكفيني لتكون معي، ولماذا أصف وقد تقع في نفس إحداهن موقعك من نفسي، ولماذا أصف،

هل أقع من نفسك موقعك من نفسي؟

كلما هممت أن أكتب لك إحدى الرسائل تظهر حيرتي منك في مقدمة كل فقرة وكل كلمة، من أنت يا عزيزي ومن أنا عندك؟ بل من أنا منذ أن عرفتك؟

لم أغرم بعيون أحد قدر غرامي بعيني أنا، ثم جئت أنت لتقع من نفسي موقعًا عميقًا بتجلي عظمة الخالق في كوكبيك، وآهٍ من كوكبيك!

لم تنسجم يومًا مخيلتي مع أحدهم عند سماعي لنغمات البيانو قدر انسجامها مع تخيلات عنك.

من أنت ومن أنا عندك ومن أنا منذ أن عرفتك؟

اعذر كلماتي ولا تؤاخذها، ولا تُحمِّل صاحبتها قدر ما تحمل هي، ربما أكتب لأني لا أقوى أن أُظهر، لأني أضعف من أن أُظهر، اعذر انسحابي وترددي وغيابي؛ فليس جهاد نفسي فيك بالأمر الهين!

***

الرسالة الثلاثون

يكفيني من الحياة معرفة أنك بخير، يفصلنا الكثير يا عزيز القلب، ولكن نعم، يكفيني أن أعلم بأصغر تفاصيل الدنيا والوجود أنك بخير، أنك وعلى الرغم من بعدك، إلا أن شاشات فقط تفصلنا، تماما كما هي الشوارع وربما البلدان.

أو ربما يكفيني من الحياة أن تعانقني، حتى نذوب وننصهر ونمتزج، حتى تتخالط الأنفاس وتتحد الأرواح وتنفجر الكواكب، يكفيني أن تمسك يدي، ألا تفلتها، أن نتصدى للحياة معًا.

***

الرسالة الحادية والثلاثون

سئمت من هراء لا تربط سعادتك بأحد، أريد أن أربط سعادتي بك، أن تندمج أرواحنا، أن أكون سعادتك وأنسك الأكبر! أحبك بكل ما تحمل الألف من ألفة وأناقة، بكل ما تحمل الحاء من حرقة وحماقة، بكل ما تحمل الباء من بريق بدايات وبقاء، وبكل ما تحمل الكاف من كنف العشاق والمحبين!

***

الرسالة الثانية والثلاثون

فالحق أقول، تفاجأت من براعتي في الكذب منذ أن أحببتك أو ربما يُهيأ لي، من يدري؟ هذا أو ذاك فتصديقك لي دون تشكيك فيما أخبر يستر كل شيء.

أُصبح أبرع كل يوم عن ذي قبل في إنكار مشاعري.

أما عن الحب فنعم أنت حبيبي، وأما عن نيران قلبي فهي على أهبة الاستعداد للاشتعال حفاظًا عليك، أريد امتلاكك بأصغر تفاصيلك منذ استيقاظك من نومك وحتى بداية أحلامك الليلية، أريدك لي وحدي برضاك، أريد تملكك روحًا وجسدًا وفكرًا وقلبًا وقالبًا، أتمنى لو أخبئك بين رموش عيوني، ربما حينها يطمئن قلبي!

أما عن أسباب نكراني فهي كثيرة... لست بخير يا عزيزي، لست جيدة كما أبدو وكما تظن؛ فأولًا: يوجد ثقب في قلبي يُملأ بالحديث معك، وثمة فجوات في روحي يملأها حضورك وكلماتك وابتسامة رقيقة منك، لا أستطيع أن أكون محتاجة لك تحت مسمى الحب، أريد أن أحبك كاملة، أريدك أن تضيف لي لا أن تكمل نقصي وتجبر كسر روحي، أخاف عليك من الدمار المحيط بحياتي

وأخاف على نفسي من لحظات تجاوزك؛ فأنت سكنتني، تجاوزك سيكون أحد انتصاراتي الحزينة، وأنا أريدك أمانًا لي من العالم، بل أريدك أمانًا لي من نفسي!

وثانيًا: فأنا فوضى يا عزيزي، لا يغرنك ما تراه مني، فداخلي يضطرب عند أبسط الوقائع، أو من دون أية وقائع أصلًا، أنت الآن تراني كل الأشياء الجميلة فقط لأنك لم ترني حقًا، أخشى أن يكون إعجابك بي ما زال كالغمامة على عينيك، وهنا يكمن خوفي؛ أنك رويدًا رويدًا سترى كل ما أنت عاجز عن رؤيته وبقدر "حبك" لي إن صح التعبير ستمل وتبغض، سترغب عني، غير أني لن أكون إلا هائمة وذائبة في العشق حينها، أخاف أن تتحطم روحي مجددًا... لا أستطيع!

وثالثًا: وكما رأيت حتى الآن، فأنا أخشى الفراق وأخشى تبعًا لذلك اللقاء وكما علمت فأنا أخافك بقدر رغبتي فيك.

ليس حبي بالأمر اليسير، فإذا أقبلت، أريدك أن تخبرني بحبك كل صباح ومساء، أن تعيدها على مسامعي وأن أستشعرها في ذات الوقت، أريد أن يطمئن قلبي أنك لن ترحل، لن تطيل الغياب ولا الخصام ولا العتاب، أن تُقَبِلَني على قدر ما وضع الله من حبك في قلبي، أن تحب عبثيتي الداخلية بقدر هدوئي الخارجي، وأن تحب

حبي لك بكل ما فيه من أنانية!

ورابعًا: أريدك أن تعلم أني وبالرغم من عنادي وكذبي في وجهك صارخةً أنى لم أعلم الحب يومًا، فأنا قد عنيت العكس، وعندما أخبرتك أني فقط أمزح بشأن تلك السخيفة البلهاء التي تحادثك فقد كنت أستشيط غيرة يا عزيزي، وماذا إن لم أكن أكيدة؟ فقط أمهلني بعض الوقت وأعطني بعض الطمأنينة... ولكني ما زلت أريدك وأغار عليك حد احتراق البحار وفيضان الأنهار وزلازل المحيطات.

لا أجد خامسًا يا غالي القلب، فكل واحدة من السابقين كانت تؤول إلى عطوب فيّ أنا، لا أدري هل سأستطيع إصلاحها أم ستظل ملازمة لي، ولكني أتمنى أن أصلحها حتى أحبك كما ينبغي وكما يجب، حتى أعطيك السعادة تماما كما أريدها منك، ليت العالم أبسط من ذلك يا عزيزي، ليت، ليتني ولدت في حقبة أخرى أو ظروف أخرى أو.. أو، ولكن ها نحن ذا وبماذا تفيد ال "ليت"؟!

أحيانا أتمنى لو أني لم ألقاك، ولكن سرعان ما أتراجع عن أمنيتي في لحظتها، دفء قلبي معك، وتحليق روحي معك -وفيك- واحتماليات اجتماعنا حقًا، هي أشياء أحملها في قلبي وأخبئها ولن أندم عليها ما حييت.

وختامًا، نعم.. أظن أني أحبك.

***

الرسالة الثالثة والثلاثون

والحق أني أكره الفراق وأبغض الوداع، وفراق بدون وداع أبشع مليون مرة من الفراق ذاته.

فإن فارقتني، فارقني بوداع خاطف يجعلني أحفر آخر ابتساماتك وربما آخر دموعك في ذهني، وعانقني طويلًا حتى ألتقط عطرك ويحتفظ قلبي ببعض الدفء، واترك لي شيئًا من أثرك أغدق عليه بعضًا من حبي لك، إذا فارقتني فلا تفارق قلبي ولا تقتلعني من فؤادك، واذكرني بين الحين والآخر، ربما خطاب لي أو ربما بين جلسات الصحاب، أخبرهم عن حبي وحبك.

إذا فارقتني فاجعلني أعلم أنك على خير ما يرام حتى أهنأ، فمن وضع شرطًا أن الفراق يقتل الحب؟

إذا فارقتني فلا تزد آمالي بالعودة، إذا فارقتني فلا تعد مرة أخرى إلا أن تكون عودة أبدية؛ ففي أول مرة سأتجاوزك بعد أن أقتطع جزءًا من روحي، وإني أخشى أن تعيد الفراق فتَعْقِد بذلك

على قلبي حتى ينفجر؛ فإذا خانتك قوتك وعدت فلا تفارق، وإلا فاقتلني قبل أن تفعلها.

***

الرسالة الرابعة والثلاثون

يومًا ما، ربما بعد عشر أو خمس عشرة سنة من الآن، سنصلي الفجر في جماعة أنا وأنت، وكعادتي سأدعو الله في سجودي أن يديمك لي ما حييت، بعدها سأعد لك كوب الشاي الذي تحب، وأنت ستعد لي فنجان القهوة كما أحب، ثم نلج شرفتنا الصغيرة لكي نراقب شروق الشمس كعادتنا، ولكن ينتهي بي المطاف بمراقبتك أنت، لا أدري لماذا ما زلت أسترق النظرات إلى قسمات وجهك بين الحين والآخر، ربما لأنك حينها تكون في أنقى صورك، منهمكًا في عمل شيء تحبه، أعشق تلك العقدة التي تعلو وجهك عندما تفكر وأهيم عشقًا بضحكة شفتيك الواسعة عندما تصل إلى حل لما تفكر فيه، ولا أستطيع مقاومة سهام الفرحة التي تصوب من قلبك إلى قلبي عندما تعانقني بعدها، ولأول مرة تكون السهام سببًا لسعادة الأرواح! في مثل تلك اللحظات أراك مختلفًا بجمال لا يوصف!

نسائم الصباح الباردة تحيط بقلبينا بينما أنا أختلس النظر، وأنت ترتشف شايك ببطء مستعجلًا نهوض الشمس، لطالما كان هذا الطقس أقل طقوسنا حبًا بالنسبة لك، أحب أنك دائمًا مندفع وأني دائمًا ساكنة، واندفاعك يدفعني للخروج عن سكوني بحب، وسكينتي تكبح اندفاعك بحب، لهذا يكمل بعضنا الآخر.

وعلى الرغم من أنك لا تحب استشعار ما في هذا النسيم البارد، إلا أني لمحتك غير مرة مغلقًا عينيك تستنشق ذلك الدواء الذي يخترقنا عندما تنفض الشمس عنها غطاءها، أحب كيف تمسك يدي برفق بعد أن تنهي شايك وأكون أنا لم أبدأ بعد ارتشاف قهوتي، ولا أجد مني إلا أن أميل على كتفك ثم تسند رأسك إلى رأسي.

وها هي الشمس تأتي لتنهي كل هذا، ولكن ليس بعد، فقد نال منا النوم على ما نحن عليه، ولا نقوم حتى تشتد علينا أشعتها. لا أدري للمرة الكم سأكون أقولها لك، ولكن، سهراتنا معًا منذ أن اتحدنا وهي أكثر دفئًا وأمانًا وتبسمًا، لا أدري هل سأكون وقتها وجدت كلمة أبلغ، ولكن، إلى ذلك الحين، فلتعلم أني أحبك!

***

الرسالة الخامسة والثلاثون

لا أزال أتذكر أول مرة رأيتك فيها... لا أزال أتذكر انخطاف أنفاسي وتعلق ناظري بك، لا أزال أتذكر كيف كنت أسابق نفسي، أو ربما اندفاع جسدي هو الأمر الذي لا أستطيع تفسيره حتى الآن، كل ذلك لأجل نظرة أقرب عن كثب بينما أنت غير منتبه لوجودي، كان الأمر أشبه بطفلة تقف أمام إحدى المنحوتات مدهوشةً من روعة يد النحات.

لا أزال أذكر قميصك القرمزي، لازلت أذكر نظاراتك وهي تحاول جاهدة أن تخفي إحدى عجائب الله في خلقه -وأعني عينيك- لازلت أذكر وقفتك الحازمة كأنك ملك هذه الأرض، لازلت أذكر كيف أطبقت كفيك على بعضيهما منتظرًا أن يلحق بنا الآخرون -ولم أتمنَ وقتها سوى أن يختفي كل شيء من الوجود سوانا- لازلت أتذكر تلك اللحية الخفيفة وتلك الشفاه الرقيقة المطبقة على بعضها البعض، ليس بامتعاض وإنما بصبرٍ بالغ.

ما أزال أذكر تلك الشامة المطبوعة على جانب عنقك الأيمن، أحببتُها، أتدري لماذا؟ لأنها كذلك طبعت عندي، ولأنها أعمق ما طبع في ذاكرتي عن صورتك.

أذكر كلامك بحزم عندما يقتضي الموقف، كما أذكر خجلك واحمرار وجنتيك -يأسران قلبي-؛ فإذا كان الحياء من لوازم النساء فإنه وبلا شك تاج على رؤوس الرجال، أذكر صوت ضحكتك، وتَخَطُّفَ أنفاسك خلالها، تلك التي تتراقص لها أحبال قلبي أذكر قَصَةَ شعرك التي أصبحت تعرف الآن كيف أحبها، ولحيتك التي تتخللها تلك الغمازة الصغيرة عندما تضحك، أصبحت تعرف أي طول أُفضل.

آه لو تعلم أني عندما أخبرتك أن تُبقي شعرك قصيرًا ما كان إلا كي أُبعد عنك عيونهن، أما أنا فقد أحببتك على أية حال وكان ما كان.

اعذر ذكري لعينيك بين الحين والآخر، لم تكن هي ما جذبني إليك على أية حال - في الواقع، لا أدري حقًا ما الذي سحرني وغير كياني إلى هذا الحد- ولكني لاحظتهما بعدما رأيتك عن قرب، بعدما مال قلبي، لا أدري ماذا سيصيبني حقًا إذا ما رمَقَتني تلك الأعين يوما بنظرات، على قدر ما أتمنى أن أسبح فيهما دون قيود، دون استراق لحظات، هو تمامًا خوفي من أن تفضحني سعادتي أو تصلبي ولمعة عيناي من جلال الجمال، ليس أمامك ولكن أمامهم، فأنت على أية حال تدري ما بي أما هم فلا يدرون ولا أتمنى أن يعلموا شيئًا، لو استطعت خبأتك بين رموش عيني، علّ قلبي يستريح قليلا، وعلى

ذكر الرموش فاسمح لي أن أنص الآتي: أهدابك الساحرة تستحق التقبيل كل مساء وتلك الشفاه الرقيقة تستحق التقبيل حتى قدوم المساء، وأما تلك الشامة على عنقك فهي مسكني ولا أطيق صبرًا حتى أزور شامات أخرى جيرانها.

يبدو أنني إذا استمررت بالكلام عنك فلن أنتهي، أ وتدري؟ لا أريد أن أنتهي، لا أريد أن تنتهي، لا أريد أن ننتهي...

***

الرسالة السادسة والثلاثون

عزيزي مرحبًا...

مر الكثير منذ آخر رسالة من روحي لم أرسلها لك، لعل كل كلماتي ومشاعري تختزل في: أشتاقك!

أشتاقك حد النخاع ولا أقوى أن أخبرك، لا أدري أيمنعني عن إخبارك كبريائي الأنثوي؟ أم هو سخطي عليك؟ ربما مزيج من كليهما.

***

الرسالة السابعة والثلاثون

عزيزي..

تأرق مضجعي من التفكير ولم يغلبني النعاس أو يغالب أفكار رأسي، أراك في مخيلتي فلا يسعني النوم كملجأ، ولا أجدني إلا متقلبة ذات اليمين وذات الشمال وأنت في رأسي، وأحسبني أتمنى أن يغلبني النوم بين كل تقلب جنب وآخر، وأنا فقط لا أجد مني إلا أنني أتمنى رؤيتك في أحلامي، أن نجتمع فأمعن النظر في عينيك، كل التمعن الذي أتمنى والذي لا أقوى عليه.

***

الرسالة الثامنة والثلاثون

متذبذبة أنا بين صبري وهجري، لا الهجر يريح قلبي ولا أنت تدري نيران صبري، متذبذبة أنا بينك وبين نفسي، نفسي تريدك وأنت على أذيتها مُصِر، وأنت تريد... لا أدري حقا ماذا تريد!

نفسي تشتاقك قدر اشتياق راحتها من قبل وجودك، نفسي ترى فيك الراحة من بعد وجودك، ولا أنت تدري بكل ما يحدث.

ربما ما خلصت إليه الآن أني سئمت صبري وأحاديث عقلي التي لا ترحم، والآن فلنجرب الهجر قليلا، علّ قلبي يفلح هذه المرة.

***

الرسالة التاسعة والثلاثون

قصص الحب تُربت على كتفي وتحتضني، أرانا في كل قصة شبه مستحيلة تُكلل بنجاح مستحيل مثلها.

هل لنا قصة من الأساس، أم أن كل هذا فقط نسج خيالي، أم نسج قلبي إن صح التعبير؟

هل تعلم متى علمت أني أحبك؟ بالطبع لا تعلم. علمت أني أحبك عندما شعرت بك وقد سكنت قلبي، عندما وجدت قلبي يميل لك دون غيرك، مهما استمالوني لا يرضخ قلبي إلا لك، تظل أنت ولا أحد مثلك، يستثقل قلبي الأحاديث مع غيرك مهما كثرت وحلى قطافها، ولا أزال أفتقدك في أول كل نقاش وآخر كل حادثة، أصبحت أراك في كل شيء ولا شيء عندي يشبهك، يعوض غيابك، أو يسلي قلبي عن ذكرك.

قد لا تكون مناسبًا لي ظاهريًا؛ فأنت لا تقرأ الشعر ولا تستميلك

أحاديث القدماء ولا أغانيهم أو رقصاتهم، تكره الزنجبيل على الشاي، وتحب الشعرية بغير حبهان، روحك في الشوارع هائمة وبين الناس، كثير الكلام قليل التعبير عن نفسك (من المتناقضات أليس كذلك؟!) على عكسي، وهنا أكون أنا، عكسك ومثلك، مختلفة عنك وأفهم روحك، أشبهك وأغايرك. وأحبك.

لا أريد من يقرأ الشعر ولا أريد من يعشق رائحة الحبهان، لا أريد من هو مثلي فتزيد حياتنا رتابة، أريدك أنت، باختلافك واتفاقك وتحفظك واضطراب تفكيرك وثبات خطاك.

أريدك، ولكن أتذكر كل الصعوبات، كل الكارهين، كل العقبات، أشفق عليك من توابع دخولك حياتي، أشفق عليك من صراعاتي وأشفق عليك أن تتقبلها، فهل لي أن أطلب منك أن تحبني دون صراعاتي، أن تريدني لنفسي وكوني وطبيعتي، أن تتغاضى عما ليس لي فيه دخل وكبرت لأجده في حياتي؟ هل تتقبلني بكل تلك التوابع، أريدك أنت بكونك وكينونتك وأتمنى ألا يحول بيننا ما هو أكثر من ذلك يومًا.

أحبك... حبني وكن لي

***

الرسالة الأربعون

عندما نتشاجر، لا تغب عني طويلا تعال حادثني كعادتك، راضني بكلمة أو كلمتين، دعني أفرغ جم غضبي عليك ثم بعدها ضمني إلى صدرك، بدفء العوالم كلها ونبض لا يصدر إلا منك، لا تفلتني إلا وقد انتظم نبضك ونبضي، وقبل أن تفلتني كل الإفلات قبّل جبهتي، وامسح دموعي إذا ترقرقت رغماً عني.

أتعلم؟ لعنتي أني أحبك، أهلكني حبك وأحياني وها هو يهلكني ويحييني، ارحم ضعفي معك وارفق بقلبي الذي لا يريد سواك.

***

الرسالة الحادية والأربعون

عزيزي مرحبًا..

بل لا أهلًا ولا سهلًا! أتساءل متى بالله عليك تريح قلبي؟ أو متى بالله عليّ أنا أكف عن تحطيم نفسي في حبك.

لا ألومك على اضطراب مشاعرك وتردد خطاك نحوي وتعثرك مرارًا وتكرارًا على الطريق إليّ، فمثلي يا غالي القلب تستحق وقادرة

وبكل جدارة أن تؤرقك ولا تجعلك تهتدي إليها سبيلًا، ولكن يا حبيبي ألا أستحق كذلك أن تكون خطواتك أكثر ثباتًا وثقةً، لا بأس أن تضطرب خطاك نحوي، ومن منا ليس مضطربًا أصلًا؟ بئس الحياة هي وبئس الرأس تلك التي تحملنا على كل هذا التخبط! ولكن ثق بحبك لي، أشعرني برغبتك أن تفلح الأمور بيننا، كيف تريدني أن أصدق إغراقك لي بكلمات الحب بينما أنت تخبرني بعدم ثقتك بحبك لي؟

تبًا لحبي لك، ذلك الذي يحملني على تحمل كل هذا التردد بك.

تخبرني أننا أكثر من مجرد أصدقاء وأن ما بيننا أعمق وأكثر بعدًا وأنك تحبني و، و، وسحقًا لهذا الحب يا عزيزي!

لأصدقك القول، لست وحدك مضطرب الخطى متردد الاقتراب، ولكن يا حبيبي أكيدة أنا من حبي لك، ليس لشيء إلا أنني أحبك، فقط أحبك، أليس تحملي كل هذا وبقائي رغم عذاب روحي حبًا، فإن لم يكن حبًا فماذا هو؟

كلما شعرت أننا رسونا على بر يجمعنا، وأن حيرتي قد انتهت، تعود أنت لتشعل نيران الحيرة في قلبي.

تقول: "أحبك يا حبيبتي وهذا أكيد، ولكني لست بأكيد أني سأكون لك"، ومن بالله عليك يعلم؟ منذ متى والحياة تعطينا

إجابات صريحة؟ منذ متى وهي تبعث فينا الطمأنينة؟ منذ متى والبشر مضمونون يا عزيزي؟ منذ متى ومنذ متى؟ وأنت تعلم كل ذلك، ومصيبة رأسي أني أعلم ذلك وأنت تعلم ذلك.

كل ما أريد وأتمنى أن تثق بحبك، وأن تعلم أن الحياة تجربة يا حبيبي، وأن تلك المشاعر السحرية التي تغير كيان الإنسان ما هي إلا ضرب من الخيال، وإنما هي بذرة حب وشرارة انجذاب، أفلا تستحق بذرتنا الجميلة أن نرويها فنرى غراسها؟

لن تعرف أبدًا ولن أعرف أبدًا، هل أنت من سيؤوي روحي مستقبلًا أم لا وهل أنا من ستكون ملجأك من العالم أم لا، ولكن كل ما أعرفه أننا هنا الآن وأنه طالما بيننا كل هذا الود فإنه يستحق أن يبقى إلى أن يثبت العكس.

ربما أبالغ كثيرا، ولكنني أود المبالغة والخسارة عوضا عن قول يا ليت.

ومع كل هذا الاضطراب والتخبط والتردد، لا أريد الابتعاد عنك ولا تريد أنت أن تبعدني، فها نحن هنا عالقون إلى أن يأذن الله ويحدث بعد ذلك أمرًا.



الرسالة الثانية والأربعون

عزيزي كيف حالك؟

أصبح يشغل تفكيري احتمال فراقنا في الآونة الأخيرة... لا أعلم كيف سأتجاوزك، ولكني أعلم بأني قادرة على ذلك، لا أعلم أيضًا ماذا قد يؤدي بنا إلى وضع كهذا، ولا أدري إذا سيهون عليك كل ما عشناه معًا في لحظة عابرة.

كل ما أعلمه أني لن أكون من يتخلى، أني سأبذل ما بوسعي لكي نبقى، أني لن أفلت يدك إلا إذا أبعدتني بشدة.

كل ما أتمناه ألا تفلت يدي، أن تتصدى للحياة معي، ألا أكون وحدي من يسعى لأحفظ حبنا، حتى يأذن الله بعد ذلك أمرًا.

وكذلك أعلم أني لن أنساك يومًا، وسأظل أحمل ودك في قلبي وستظل أبوابي دائمًا مفتوحة لك، أعلم أني سأكون ممتنة للحظات السعادة التي كان وجودك سببًا فيها، ستظل دائمًا ندبة مزهرة في جدار روحي!

علّنا لا نفترق يا غالي القلب

أحبك

حبني وكن لي.

❊❊❊

الرسالة الثالثة والأربعون

تبدو الليلة تعيسة جدًا بدونك، على الرغم من أنها تشبه الكثير من الليالي التي مرت عليّ قبل أن ألقاك.

يبدو أنك كلما ابتعدت عني ازدادت روحي تعلقًا وهيامًا ويأسًا وجزعًا وأملًا كذلك، اليوم شاهدت ثلاثة أفلام على التوالي، حضّرت نصف وجبة الغداء، نمت كثيرًا، واطلعتُ على صورك مرات عديدة، والآن يتبقى ساعة على فجر يوم جديد ولا أعلم كيف سأمضيها ونحن لا نتحدث، أفتقد قربك بشدة، حتى مشاركة لحظات الصمت معك، أصبحت أستيقظ لأقضي يومي في محاولات يائسة لتفادي التفكير فيك، ثم أعود فأفكر فيك أكثر من ذي قبل.

أفكر كيف تغير حالي بك وكيف تغير معك، أفكر كيف وقعت في الحب رغمًا عني ورغم احتراسي وتحذري، أفكر كيف أني أحبك، وكيف يجدر بي أن أحبك حبا يليق بك، وأفكر أيضا في استحقاقك أن تحبك امرأة مثلي وفي احتمالات وجودي بين أفكار رأسك، وفي

حبك لي، وحيرتك فيّ.

أحبك ولا يسعني إلا التفكير الطويل المسترسل

حبني وكن لي.

❋❋❋

الرسالة الرابعة والأربعون

عزيزي..

في كل مرة تظن روحي الخلاص منك، أجدها متشبثة بك، أجدها متعلقة بتفاصيلك أكثر من ذي قبل، أجد إدماني لك قد تخطى حدود الجنون والهذيان....نعم أصبحت أهذي بك وفيك، متخيلة كل ما كان يمكن أن يحدث وكيف كان يجب عليك أن تتصرف، أنكر على نفسي رؤية محاسنك وإنكاري لكل تلك العلامات التي كانت تخبرني كل فترة بأنك لا تصلح لقلبي، ولكني أقدمت عليك بقلب ثابت وأقدام مرتجفة، لا يزال قلبي يتقدم، أما قدماي فقد تكسرتا من الارتجاف، أخبرني يا عزيزي ما فائدة تقدم قلبي وعدم قدرتي على الخطو نحوك، كأن حبك يمزقني بدلًا من أن يرمم شروخي، أخبرني هل كان عدلًا أن تتكسر قدماي في

انتظارها لك أن تطمئن ارتجافها؟

أنى لك كل هذه القسوة أمام هذا القدر الكبير من الحب؟!

كنت ومازلت أنا الحمقاء في قصتنا، أقدمت عليك زاعمة قوتي وصلابتي، أخبرتك أن حبي لك يكفي كلانا وأني لا أرجو منك حبًا، خدعتني قوتي وانقلبت عليّ صلابتي... خدعتني قوتي وانقلبت عليّ صلابتي.

نعم.. تكسرت قدماي، ومازال قلبي يحبك، تكسرت قدماي، ومازال عقلي يرفض تصديق عدمك، تكسرت قدماي، ومازلت أدعو. مرت سنة ومازال رجائي من الله كما هو؛ أن يعافيني منك، وزاد على رجائي رجاء؛ أن يجبر كسر قدماي أو ينزعك من قلبي، وزاد رجاء آخر: أن تهيم فيّ أو أن يقسو قلبي عليك.

أحبك وأكره حبي لك، ذلك الذي أظهر ضعفي في أشد لحظات حاجتي لك، أظهره ولا أجدك إلا وقد اختفيت.

كنت أنا الحمقاء في قصتنا، أخبرتك أني لا أريد كشف ستار روحي وكان هذا خوفًا عليك، انزعجتَ حينها، أخبرتك أني ما إن أنكشف لأحدهم حتى يبتعد عني، قُلتَ لي: إذن لا تبوحي بمكنون صدرك، وكان هذا خوفًا من فراقنا، ولكنني حمقاء. غلبت حاجتي للدفء واحتياجي الانكسار قوتي وعزمي، قامرت بك وخسرتك

وخسرت نفسي. ولأنني حمقاء؛ أتمنى أن أكون مخطئة، أكثر من أي مرة مضت.

***

الرسالة الخامسة والأربعون

عزيزي مرحبًا..

أكتب إليك هذه المرة رسالة لا أعلم هل سأرسلها لك أم أحتفظ بها بين وريقات لم ترسل كذلك.

مؤخرًا أصبحت كثير الانطفاء يا غالي القلب، ولا يؤلمني هذا الانطفاء إلا لشيء واحد، هو ظنك أني مللتك، ولن أحتمل انطفاءك...عزيزي، إن كان في انطفائك وخبو وهجك حقًا ما يؤلم، فهو عجزي عن إضاءة عتمتك ووقوفي مكتوفة الأيدي لست أدري ماذا أفعل.

أما حبي لك فهو باقٍ في قلبي إلى الأبد، أحبك وأنت تتراقص فرحًا، وأحبك وأنت تستنجد الكلمات لتحادثني بها من فرط حزنك، أحبك كيفما كنت، وليس ذلك تحت تصرفي، أحبك قد كتبها عليّ ربي، أحبك حتى وإن فرقتنا السُبُل.

كل ما أتمناه الآن أن أكون كتفًا ثالثًا تستند عليها رأسك، وأن أكون قلبًا آخرًا يحتضن قلبك عندما لا يسعه صدرك، أن أحتضن قلبك في كل وقت، وأن أكون عقلًا ثانيًا تصب فيه معارك عقلك فتعرف كيف تحلها.

لست أفضل شريك، كما لم أن يوما أفضل ابنة لوالدي أو أفضل أخت لإخوتي، ولكني يا عزيزي أحاول، ولم ولن أكف يومًا عن المحاولة.

كل ما أطلبه منك أن تمد لي يد قلبك كي أركض إليك دون كبت جماح قلبي، كل ما عليك فعله أن تحبني وأن ترشدني إلى بعض معالم خارطة روحك.

***

الرسالة السادسة والأربعون

مر عام على معرفتي بك، مر عام على انتفاضة قلبي الأولى عند رؤياك وما يزال ينتفض قلبي عند كل وقعة بصر عليك ... لا أزال أتفقد صورك بنفس لهفة المرات الأولى وتماما بنفس الشوق والحنين ... والحب.

حدث الكثير في هذا العام بيننا، تبتعد وتقترب، وأبتعد وأقترب، كان عامًا مليئًا بجهاد نفسي فيك وبجهاد نفسي في أن أكابر مشاعري وأفكاري وأطردها...ولكني ها هنا يا عزيزي... تمامًا كالمرة الأولى، تمامًا كما بدأت وبدأ كل شيء....

كل مرة أرقبك فيها تكون وكأنها الأولى وكلما اقتربت منك أكثر تأكد وثبت حبي.

في إحدى المرات سألتك: كيف ترى الفرق بين الإعجاب والحب؟ وحينها أجبت: أن الإعجاب أن ترى المحاسن كلها غير مشوبة بأي عيوب وبأن الحب أن تبصر المحاسن والعيوب ويقرر قلبك أن يبقى رغماً عن كل شيء. وأنا أضيف يا عزيزي: بأن الحب أن تدرك شيئًا فشيئًا العيوب ثم يختار قلبك أن يتنازل عن حقه في الكمال وإصلاح العطوب، وأن يختارك كما وجدك على صورتك الأولى، فلا تضيف هذه العيوب والعطوب إلا ذلك العبق المميز الذي تلتقطه الروح وتغفل عنه الأنوف. الحب أن يتفق العقل والقلب، وقلما يتفقان...ولكن، ها هما يتفقان!

أكتب إليك الآن وقد قررت ألا أريك هذه الأحرف، إلا أنني أعلم بأني يوما سأضعف أمام قراري وأمامك وستطير حروفي إليك تمامًا كسابقتها، أكتب إليك الآن وأنا أذكر تلك المرة التي التقطتُ

فيها صورة لشامة عنقك، أكتب عنك ونغمات صوتك تتراقص في ذهني، أكتب فيك وأتمناك وأطلبك من ربي.

فعسى يا عزيزي أن تسير معي مهما وعرت الطريق، وطريقي وعرة، وعسى ألا تجد دفء قلبك وأمان روحك إلا عندي، وعسى أن أكون خيرك في الدنيا ورفيقك في درب الحياة، وعسى أن تتعانق أرواحنا عناق مودة وراحة وأمان ووعود بقاء، وبقاء.

أتمنى أن تمر السنون علينا وأظل محتفظة بتلك اللمعة في عيني عند رؤيتك وتفقد صورك بين الحين والآخر، أتمنى أن تلمع عيناك لي كما تلمع عيناي لك وحدك.

وكعادتي أكره أن أنهي حديثًا بيننا، فعساك يوما تكون جواري، عساك يوما تكون لي، عساك يومًا ودومًا رفيق روحي وأمان حسي، أحبك.

دعني أبح لك بسر: أحيانا أشعر وكأنني أحببت رجلا تعشقه جميع النساء، رجلا قد يقطعن فيه أيديهن تماما كنسوة يوسف، ولكن، أليس الحب هو ما يفعل بنا كل هذه الأفاعيل؟ أليس الحب هو ما يجعلني أشعر وكأن كلهن قادرات على الوقوع لرجل مثلك؟ وأتمنى أن أكون أكثرهن حظًا بأن تقع حقًا في حبي.

يومًا ما يا عزيزي إذا أَذِنَ لنا القدر واجتمعنا، سأخبرك عن كل

دقة قلب قالت لي بأنك أنت... أنت المكتوب وأنت المنشود.

***

الرسالة السابعة والأربعون

في الصباحات الناعسة صوتك يرافقني، تعمل مخيلتي بشكل سريع؛ لتخلقك في جواري، أشعر بدفئك وأنت تضمني وأشعر بشفاهك على شفاهي..

أذكر أنك تحب العناق فنظل متعانقين لفترة أطول، أحب الصباحات الناعسة يا عزيزي..

أنام وأصحو عدة مرات وكل مرة كأنها آخر مرة، ولا أدري أي مرة ستكون الأخيرة فعلا، ذكراك وصورتك وصوتك وعبقك تملأ المكان وتملأ عقلي.

تخيل عزيزي لو أن صباحاتنا الناعسة أصبحت صباحنا الناعس.

***

الرسالة الثامنة والأربعون

عزيزي..

سأظل ممتنة لكل اللحظات التي تعانقت فيها أرواحنا وسأظل ممتنة لكل الدفء الذي لففت به قلبي عند قربي منك، أعلم يا عزيزي أن احتمالات المستقبل وظنون القلوب ورغبات الأنفس ليست بين أيدينا وليست طوع إشاراتنا، ويا ليتها كذلك.

تُداعب قلبي فكرة اجتماعنا، بل فكرة اتحادنا جسدًا وروحًا وقلبًا وقالبًا، يتسلى عقلي برؤيتك عبر نوافذ أحلامي وكيف أننا يوما ما سنكف عن الحلم لأن اجتماعنا سيكون أجمل من أي حلم آخر.

ترعبني فكرة ألا تكون لي وألا يكون لك خير فيّ، ترعبني فكرة أن تكون مشاعرنا قد كُتب عليها أن تطوى كأي قصة عابرة لأي روحين لم تحالفهما رغبات القدر، ترعبني فكرة أن تبتعد، بإرادتك أو رغماً عنك، وترعبني فكرة أن يتحول قلبك لغيري، وقلبي لغيرك، ألا تكون الأمان الذي لطالما انتظرت وصوله، ألا أكون السكينة التي تعتري روحك عند النوازل، ألا نكون كل ما ظننا أننا كنا ونكون، وسنكون.

مزيج كلاسيكي؛ سعادتي في جوارك يضاهيها ألم احتمال ألا نكون بدونك يؤرق ليلي ومعك هي أولى رشفات قهوتي المرة كمرارة علمي أننا لن ندوم، أحاديثنا تشبه تمايل أجسادنا في رقصة التانجو وأفكار رأسي هي آلام أقدامنا التي تلحق تمايلنا، ألم أخبرك؟ مزيج كلاسيكي يا عزيزي؛ ألم وسعادة!

كم من الوقت علينا أن ننتظر حتى تطمئن قلوبنا، كم من الوقت علينا أن ننتظر حتى يأذن الله أمرا كان مفعولا؟

كعادتي لا أجد حلا ولا مسكنًا لكل ما يدور داخل ذلك الصندوق المسمى عقلي، ولا أجد مني إلا أنني ألجأ الى الله، تماما كما في كل أمر، تماما كما كنت ألجا إليه منذ أن التقينا.

أذكر تماما كيف وقعت في حبك رغما عن أنفي ورغما عن رفضي لفكرة الحب من الأساس، أذكر كيف وضع الله حبك في قلبي رغم تحذري من أن تذوب شموع مهجتي.

أحيانًا أجد نفسي متعجبة من تحول أمنياتي ودعواتي إلى الله، وحيرتي هي العنصر الثابت في هذه المعادلة بينما أنا وأنت المتغيران، كأي معادلة فيزيائية، لا يمكنك إيجاد العلاقة بين متغيرين إلا إذا ثبت ثالثهما، فها هي حيرتي الثابتة تريني علاقة عكسية بيني وبينك، حيرتي تكبحني من الغوص في أعماقك، وهو الشيء الوحيد الذي

أصبو إليه معك، وتكبحني من أن أدخلك إلى أحلك زوايا قلبي.

أذكر خوفي من أن أحبك عندما التقينا، حينها دعوت الله أن يبعدك عن قلبي إذا كنت جرحًا جديدًا ورجوته أن يبارك فيما بيننا إذا كنت الخير الذي أرجوه لقلبي، واقتربت مني أكثر.

بدأت أخاف عليك من ظلماتي، وحينها رجوت ألا أمتلك قلبك إلا إذا كنتُ خيرًا لك وكنتَ خيرًا لي، وتقاربنا أكثر، ومع تزايد حيرتي تغيرت دعواتي ورجائي، أصبحت لا أريد سوى ألا يتعلق قلبي، بك أو بغيرك، دعوت كثيرًا يا عزيزي ألا يعلق ربي قلبي بغيره وتقاربنا أكثر، وبين كل لقاء وآخر وحديث قلب وآخر، تشابكنا... بشكل يوحي بأن الله استجاب دعوات قلبي بأنك الأمان الذي أرجو...تشابكنا وكأن الله يخبرني بأن أطمئن، ولطالما رافقني لطف الله يا عزيزي، أظنني مباركة بمحبته.

حينها أصبحت أدعو أن يجعلك الله أهلا لي وأن يجعلني أهلا لك، دعوته بألا نبتعد، أن نكون قد كُتبنا لبعضنا البعض ولو بعد حين، دعوته أن يجمعنا وأن يبارك لي فيك، ولكن روحي المضطربة لم تجد سكينتها بعد، لم أستطع الاطمئنان، لم أستطع أن أثق بحبك لي، وحينها رجوت الله، كل الرجاء، أن تذوب في كما أذوب فيك، وأن تحب عيوبي قبل محاسني، ألا تبصرها من الأساس، وعدت

أضيف: إذًا كنا خيرًا لبعضنا البعض.

كلما تقاربنا تزداد فكرة الفراق وحشية، وحينها دعوت الله ألا يجرح قلوبنا ببعضِنا أبدًا، أريد أن أكون دواءك، وضمادة جرحك، ودفء قلبك، وأُنس روحك، وأن تكون مأمني.

وإذا قُدِّر لنا الابتعاد وكان الفراق حتميًا، فسأظل ممتنة لكل لحظة علمت فيها جلالة الشعور بالحب، وسأكون ممتنة لكل لحظة تجملت فيها بحبك، ولكل لحظة شعرت فيها بجوارك أني امرأة وأني أنثى، وأني طفلتك المدللة، لكل لحظة امتزجنا فيها، ولكل اللحظات التي ذابت فيها أرواحنا وتمازجت فيها ضحكاتنا، أظنني الآن قد أضفت رجاءً جديدًا إلى تحديث دعواتي إلى ربي: ألا ينتزع الحب من قلبينا -كما وضعه رغمًا عنا- وأن تكون لي يا حبيبي.

***

الرسالة التاسعة والأربعون

عزيزي..

حقيقة أنه لا يمكننا اللقاء، وأني لا أستطيع لمس روحك، حقيقة أني لا أخلد إلى النوم إلا وقد أمعنت التفكير فيك، وفينا وأنك لا

تعلم كل هذا.

كل العراقيل التي تمنعني من تصديق حبك، وحقيقة أنه مهما فعلت لا أجدني إلا غارقة في حبك أكثر حتى عندما يكون حبك آخر شيء يناسبني.

صراع قلبي والمنطق الذي دائمًا ينتهي لصالحك، سيان من انتصر!

حقيقة أني ها هنا أنسج كلمات مباشرةً من قلبي ولا أدري: هل حقًا سيقودها المسير إلى قلبك؟

وصراع أني لا أبالي بأي شيء إلا كوني عاشقة لك، كوننا معًا، كون وجود كلمة نحن وكوننا نوناها وحاؤها الحب الذي يجمعنا، لا أبالي بشيء إلا إظهار هذا الحب لك والإقرار به بينما مئات الأشياء تخبرني ألا أفعل.

"كل يوم في حبك تزيد الممنوعات وكل يوم بحبك أكتر من اللي فات"



الرسالة الخمسون

عزيزي مرحًبا...

إليك مني كل ما لا أستطيع البوح به لك، وكل ما أتمنى أنك تعمله ولا تبوح به كذلك، وكل ما أريد أن تتأكد منه وكل ما أحب أن نتشارك.

علك تعلم الآن كم أنا شخص - بطبيعة الحال- لا يبالي، وأن الحياة علمتني أن أكون أنانية لأنجو بأقل الخسائر، وليتك تعلم أنك جئت فقلبت موازيني رأسًا على عقب، لأتخلى عن جزء من أنانيتي في سبيلك، درجة أنني أفكر في احتمال أن يؤذيك حبي وفي احتمال أن يكون فراقنا خير لك، درجة أني أفضل سلامتك على سلام قلبي في وجودك!

كنت أنام في سلام قبل أن يتعلق قلبي بك، هو ذات السلام الذي يتحقق عندما يكون صوتك آخر ما يطرق أذني قبل أن أخلد إلى موتتي الصغرى كل ليلة، أما الآن فالأرق لا يفارق ليلي؛ أصحو كل يوم في الليل ما لا يقل عن خمس مرات... أتفقد هاتفي... لا رسائل منك... أعود لأختطف بضع لحظات من سواد الليل بعد أن شعرت بوخزاتِ حزن بين حجرات قلبي.

أصحو كل يوم في الليل ما لا يقل عن خمس مرات... أتفقد هاتفي... رسالة منك... رسائل كثيرة...أعود فأراسلك...أعود لأختطف بضع لحظات من سواد الليل بعد أن تراقصت فراشات الفرح في حجرات قلبي.

عقلي يقتلني عدة مرات في اليوم يا عزيزي، أخبرتني أمي أن وجهي يبدو عليه التعب، ربما هي الدراسة، أجل لا بد وأنها الدراسة، دراسة عقلي لكل كلمة وكل جملة وكل احتمال وكل قصة. أشد ما يقتلني به عقلي فكرة ألا تعي مدى حبي لك ولأي مدى قد أخذني حبك ولأي مدى غيرتني ولأي حد يمكنني أن أتمادى أكثر فأكثر، وفكرة أشد رعبًا؛ ألا تكون مستحقا لهذا الكم من الحب، أن أكون – وكما يقولون– قد أبحرت أميالًا في اتجاه خاطيء!

عزيزي كل هذا يتلاشى بكلمات منك، بوجودك حقًا معي، غير أني لم أعد أقنع بمجرد وجود كلماتك حولي، إنها أنانيتي تطغى من جديد، أنانية فيك ولك!

وأعود لأفكر بأني أبالغ، ثم أحرق تلك الفكرة بأن الحب محض أنانية، وإن لم تكن أنانيًا فيمن تحب فكيف تعتبر نفسك من معشر العشاق أصلا؟!

أحيانًا يثير أعصابي علمي بأنك تعلم كل ما أشعر ومع ذلك

لا تحرك ساكنًا، ومع ذلك لا تريد أن تحرك ساكنًا، ومع ذلك لا تستطيع أن تحرك ساكنًا يا عزيزي.

لو كنا سنكتب قائمة بأعدائنا، لاحتلت رأسي رأس القائمة بلا منازع أو منافس، لا تزيد أفكاري الموقف إلا تشويقًا وإثارة ورغبة في رؤية إلى أين سنؤول، بعد كل شيء ورغم كل شيء.

علني أكتفي بهذا القدر في هذه الرسالة التي لن ترسل لك كأخواتها والتي لن تقرأها كذلك، لعلنا نلتقي في أخرى تحمل أفكاري ولا تصل إلى قلبك.

عزيزي، لا جعل لي الله حبيبًا غيرك، ولتكون لي خير الأحبة وخير الرفقة وخير الأنيس.

***

الرسالة الحادية والخمسون

عزيزي...

اليوم قمت بمسح محادثاتنا الكتابية، ما يقارب خمسين ألفا وخمس وعشرين مرة ضغطت فيها أصابعنا على زر الإرسال لبعضنا البعض.

خمسون ألف جملة قيلت بكل صدق وحب نابع من قلبي لك.

أشد ما يدعو للعجب أننا لم نتشاجر، ولكن يا عزيزي كالعادة، تخفي عني ما لا يسعك أن تتحمله وحدك ولا يسعني إلا أن أعرفه.

أتتذكّر تلك المرة التي اتفقنا فيها أن يتنازل كل منا عن بعض من عناده؟ أكاد أجزم أنك تتذكر، أخبرني يا عزيزي لماذا لم تلتزمً بما اتفقنا عليه؟ لماذا تعاند نفسك فيّ وأنا التي كسرت عناد روحها في سبيلك؟

أتتذكر تلك المرة التي وعدتني فيها ألا تخفي عني شيئًا يهمك ويخصني؟ أكاد أجزم أنك تتذكر. لماذا يا عزيزي تكسر أبسط وعودك إلي؟ لماذا وأنا التي يهمها أن تُهَمَّ روحك؟

شعرت بصخرة كبيرة تُزاح عن قلبي، أظن بأنها كانت صخرة عجزي عن التخلي عن ذكرياتنا وكلماتنا ومصدري الوحيد لصوتك العذب وهو يصفني بأجمل ما قد توصف به امرأة، أظن أن تلك الصخرة كانت تعلقي بك.

في ذات اللحظة شعرت بأن روحي تُسحب من صدري، كانت تخبرني بأن ليتك ما فعلتِ؛ فلم يعد يوجد لديكِ ما تعيشين عليه الآن، لم يعد لدي ما يعينني على تحمل غيابك عني.

ولكن يا حبيبي لا زلت أحتفظ بكل صورة لك تقع عليها

عيناي، وبالأخص تلك التي أرسلتها خصيصًا لي وكانت تشعرني أنني لا مثيل لي عندك.

ربما ظننتُ كعادتي أنني عرفت طريق الخلاص منك، ربما ظننت أني رغم انعدام رغبتي في الخلاص قد خلصت من إدمانك.

لم أكن أتوقع منك أن تراسلني بعدها، راسلتني في نفس الليلة وأصررت على الحديث إليّ.. فاجأتني بقدومك لكي تعتذر... كلامك العادي يذيب قلبي فما بالك بتأثير اعتذارك على روحي؟!

كان عليّ ألا ألين بسرعة ولم أشعر بنفسي وأنا أكلمك باقتضاب شديد، كان غضبي منك سيد الموقف..انتهت الليلة على ألا تنتهي، غضبت مني لسخطي عليك. ألم تر يا عزيزي كم المرات التي تغاضيتُ فيها، ألا يجوز لي أن أمتعض ولو قليلا؟ ألا يجوز لي أن أتدلل عليك كثيرًا؟ وألم يأن لك استيعاب أن عنادي في الغضب ما هو إلا طلب منك أن تحتضن روحي، أن تُصرَّ على أن أرضى عنك وعنا رغمًا عن أنفي؟ أأنت وحدك هكذا أم أَن معشر الرجال يُصَّبُ عليهم الغباء صبًا عندما يتعلق الأمر برضا أنثى؟

تظل الحوادث تُقلبنا معها ذات اليمين وذات الشمال، ترفعنا درجات عالية من الحميمية وتخسف بنا دركات من البُعد والألم. ويبقى الثابت الوحيد في كل هذا هو حبي لك وأملي في حبك.

"وإن كان أمل العشاق القرب، أنا أملي في حبك هو الحب"

حبيبي، لا تطل غيابك عني ولا تطل هجرك لي... دعنا لا ننتهي أبدا!

***

الرسالة الثانية والخمسون

عزيزي..

مر الكثير منذ آخر رسالة من روحي لم أرسلها لك، ها هي أخرى مجهولة المصير كذلك، لا أخفيك سرا يا غالي القلب، فالقلب دونك موحش وكئيب، ولا أخفيك أمرًا يا غالي القلب، أحترق شوقًا، حتى أن نيران الاحتراق ظهرت في عيوني وأخذت تحرق كل شيء قد لا يوصلها إليك أو يمنعها عنك.

أراك في الطرقات التي مشيناها معًا وعلى المناضد التي امتزجت عليها عطورنا، أراك في رأسي وأراني بين أضلعك.

تهرب الكلمات مني مؤخرًا، لست أدري لماذا، أتراها عجزت أمام ولع قلبي بك فعظم عليها أن تعبر عنه؟ أم تراها جزعت من أملي وانتظاري وأشواقي فأبت إلا أن ترحل لتتركني وحدي؟

في وجودك وغيابك، أستحضر الكلمات فتحضر عادة، غير أن وجودك يغنيني عنهم كما يغنيني عن التفكير في أي شيء آخر في حياتي، أما في غيابك، فلا أجد أجدر منهن لتسليتي وتخفيف وطأة الأحزان على قلبي.

كنت قد عاهدت نفسي ألا أتماهى فيك، وألا أعطيك مفاتيح حياتي، ولكنك انتزعتها رغمًا عني، وأنا خنت عهدي في سبيلك.

عزيزي، أحبك حبًا جمًا ولا أطيق صبرًا إلى لقياك، ولا أطيق شوقًا حتى اجتماعنا.

***

الرسالة الثالثة والخمسون

عزيزي، مرحبًا..

هل أصبحتُ الآن غير مرحب بي؟ هل أصبحتَ عاجزًا عن استيعاب عمق وجودك في قلبي؟

أعلم أن رسائلي ومكاتيبي لا تصلك، ولكني أعلم أن رسائلي النصية تصلك وأعلم أنك ترى اسمي على شاشة هاتفك عندما يهتز معلنا عن طلبي لسماع صوتك.

هل أصبحت تستكثر على قلبي الاطمئنان بمعرفة أنك بخير؟ أم أنك لا تدرك معنى أن روحي أصبحت فيك؟ أم أنك لا تعي ماذا يعني المحبوب لمحبوبه؟ أم أنك لم تع بَعدُ بُعدَ الأميال التي قطعتُها في روحك، وبُعدَ الأشواط التي قطَعتَها في قلبي؟

تجاهلك لي يقتلني..يقتلني وأنا أعلم أنه عن قصد منك، يقتلني وأنا أعلم أنك تلهو بينما قلبي المحترق لا يعني لك شيئًا... يقتلني وأنا لم أطلب منك شيئًا إلا أن تكون موجودًا، أن أعلم أنك بخير.

تعلم أني أؤمن بأن التواصل هو الحل، وأن القدرة على الكلام من أعظم نعم الله علينا، لذلك أخبرتك بما أشعر.

أخبرتك أني لا أطيق بُعدك، أخبرتك أني بدأت أشعر بالخوف، وأني بدأت ألمس بعضا من استخفافك بقلبي...ظننت أنك ستعي أنني أستنجد بك أن تتشبث بي، ظننت أنك ستتذكر تلك المرة التي أخبرتك فيها أني لا أطيق أن يُضمن وجودي...عندما أخبرتك ألا تفعل ذلك أبدًا. كنت أخبرك، ولكنك لم تسمع، أني على وشك الانسحاب من حياتنا، ولم أكن أنتظر منك الكثير، بل أقل من القليل الذي تعلم أنه يشبع قلبي.

قلت لي حينها أنك آسف وأنك ستعمل على إصلاح كل شيء، لم تفعل.

استمررتَ في تجاهلي. استمررتُ أنا في احتراقي.

لم أكن أخشى علينا من احتراقي يا عزيزي، ما كنت أخشاه أن تخمد نيراني بماء غير مائك أو هواء دون هواء روحك، كل ما كنت أخشاه أن تأكلني النيران فأصير رمادًا...فنصير رمادًا.

فراق

الرسالة الرابعة والخمسون

عزيزي..

كيف لي أن ألومك وقد كنت عاقلة ومنطقية في كل شيء إلا في حبي لك!

أترى ما تفعل بي مرة أخرى؟ ها أنا ألوم نفسي على البعد بعد كل ما بدر منك، أنى لك أن تكون بهذه القسوة؟ أم أن حبي كان كبيرًا عليك؟ أم أنني لم يكن يجدر بي أن أحبك بهذه الدرجة؟ وكيف لي أن أتحكم في حبي؟ لو كان بالاستطاعة إذن لارتاح المحبون كلهم!

الآن لا أدري ماذا أصدق، هل كنت أقرب الناس إلى عقلي؟ أم أنك أحسنت التلاعب بي بجدارة؟ أرفض تصديق ذلك، فالعيون لا تكذب، وجسدك وعيونك قالوا كل شيء، أم أن مهاراتك في التمثيل قد صُقِلت فما أصبح باستطاعتي التمييز؟

كل هذه التساؤلات أنهكتني وليس لي من يجيبني وليس لي من يسمعني سواك، فلا أحد يعلم عنك سوى قلبي.

هل عرفك أحد بقدر معرفتي أنا؟ لا وألف لا وألف لا.

هل أحبك أحد بقدر حبي أنا؟ لا وألف ألف لا، ولن يحبك

أحد كما أحببتك وكما أحبك.

لقد عرفتك قبل أن القاك، وأحببتك في كل خطوة خطوتها نحوي، فلما أهنتني حتى ابتعدتُ؟ أهكذا تكافئ من سلمتك روحها وسلمتها روحك؟ أم أني مرة أخرى لم أكن منطقية في حبي حتى أفسدتُ كل شيء بين ليلة وضحاها؟؟!

كلانا نعلم أن كلانا سيكون بخير بوجودنا أو غيابنا، ولكن لماذا نكون بخير إذا كان في استطاعتنا أن نكون في أحسن حال؟ أريد أن أكون بخير معك، أن أكون بأحسن حال.

كنت بخير قبل أن ألقاك وسأكون بخير بعد فراقنا، ولكني لن أكون قط في أوج سعادتي كما كنت معك، وأؤكد لك أنك لن تكون كذلك.

لا أعلم كيف سيتعامل عقلي مع كل هذا، عل لنا عودة يا حبيبي، علها تكون أبدية، علها ولعلها يا الله.

أتذكر عندما أخبرتك أننا اقتربنا من بعضنا بدعائي، ووقعتَ في حبي بدعائي؟ من المؤكد أنك تذكر. حاشا المولى أن يضعنا في طريق بعضنا سدى، حاشاه.

عزيزي، حبني وعد لي، فما عدتُ أستطيع العودة بنفسي، بابي مفتوح لك، ولكن، قد تكسرت قدماي، فما عدت أستطيع الخطو

نحوك، تعال ساعدني على النهوض.

يقولون: عليك أن تكتفي بذاتك، رجلا كنت أم امرأة. أول كلمة سمعتها بعد فراقنا كانت: لا تبكي، أنتِ قوية. ألا يسأمون القوة؟ أريد أن أكون قوية في وجه الحياة وأن تكون قويا في وجه كل شيء، أن أكون قوية بك، وتكون قويا بي، ثم آتي إليك بكل ضعفي وتأتيني بكل ضعفك، فنخلق التوازن الذي أنهكنا العثور عليه.

ابتعدتُ عنك، ولكني أعلم أن لنا عودة، أو أريد تصديق أن لنا عودة، فمثل هذه الأمور تُعين عقلي على الحياة.

لازلت أطمئن عليك دون علمك، ولا زلت أطمئن بكلماتك.

حبني وعد لي وكن لي.

***

الرسالة الخامسة والخمسون

عزيزي، كيف حالك؟

اليوم هو الثالث لفراقنا، أخبرني كيف يومك بدوني، أدعو أن تكون بخير وأتمنى أن يتمزق قلبك لفراقي، وأن يحرمك عقلك الراحة حتى تعود إلى أحضاني قانعًا خاضعًا محبًا مدى العمر يا

عمري.

عزيزي، أضفتَ لي الكثير منذ أن عرفتك، وفي فراقنا وبعد هدوء نيران صدري - كما آمل- لازلت أتعلم منك، علمتني أن أتحكم في غضبي وألا أجعله سيدي، بل أكون أنا سيدته، وعلمتني أن أفكر ألف مرة قبل الإقدام على أي شيء. تعلمت أن أحب هونا هونا، وأن أغدق الحب عليك رويدًا رويدًا.

لا تزال في دعائي، لا أزال أتمناك.

ربما هذه يا عزيزي أمنيتك تتحقق، أذكر عندما أخبرتني أنك تتمنى أن تكون لنا قصة حب أسطورية، ربما هذه هي يا حبيبي، كل ما يتطلبه الأمر هو بعض -بل كثير- من الصبر مني، وكثير من النضج منك حتى تستوعب قلبي.

أدعو الله أن يهدي قلبي وأن يهدي قلبك لي، علَّ كوكبيك يعميان عن رؤية سواي، وعسى قلبك أن يضيق مع جميع الخلائق ولا يجد راحته إلا بين ذراعي. عساك تحتمي بي وتسكن لي وعلني أسكن بك ولك.

أحبك،

حبني، عد لي، وكن لي.

***

الرسالة السادسة والخمسون

عزيزي، كيف حالك؟

ليس لي سواك أخاطبه، أو لم يعد لي من تطيب مخاطبته سواك.

أصبح يعاودني الشعور بالخوف يا عزيزي، إنه يشبه أن يتعرى قلبك في ليلة باردة. يشبه ارتجاف العقل، يشبه صبيًا صغيرًا تائهًا من والديه في زحام السوق غير أنى لا أعلم مصدره، وأمقته كثيرًا.

كان يأتيني كلما لم يعد أبي إلى المنزل، وكان يأتيني كلما مرضت أمي أو كلما خلدت إلى النوم قبلي، توقف عن المجيء عندما توقفتُ عن انتظار عودة أبي، وتوقف عن المجيء منذ أصبحنا معًا.

أنت لست هنا الآن، وها هو يعاودني مرة أخرى. يظن نفسه رفيقًا لي مثلما كنت. ويؤلمني قول كنت.

عزيزي، لست أدرى ماذا أفعل حتى يذهب عني هذا الوحش، لهذا أكاتبك بعد أن رفضت وجودي وأنكرت عليّ حبي، يبدو أن وجودك في عقلي يخفف وطأة غيابك قليلًا.

مؤخرًا يشغل تفكيري كيف أننا ننجو بالإيمان، أؤمن بالله وأنه

دائمًا حولي ومعي، وأؤمن بحب أمي ودفء قلبها، وأؤمن بوجودك وأؤمن بك، فكرة وجودك تطمئن قلبي، علها تصبح حقيقة.

ربما هذا ما سأفعله لأطرد الوحش، سأقرأ القرآن، وأتدفأ بأحضان أمي، وأرسمنا معًا في مخيلتي، وأدعو الله أن يجعل لنا عودة.

حياة روحي، أحبك.

عد لي، وكن لي.

***

الرسالة السابعة والخمسون

عزيزي..

كيف حالك وكيف حال كوكبيك؟

ألا تزالان مؤرقتان تأبيان النوم؟ علهما يؤرقان دائما ولا يهدآ إلا في بحور عيني.

أشتاق إليك، واشتياقي يشبه البحر في أمواجه، تارة هادئة ليلية، وتارة عاتية عالية نهارية، وهذه اللحظة غارقة أنا في اشتياقي يا عزيزي.

تعلم أن عقلي يرفض أن أهنأ أو أهدأ أو أسير مسارًا طبيعيًا. اليوم قفزت إلى عقلي تلك المرة التي أيقظتك فيها من نومك لنتحادث، كنا في الثالثة فجرًا وتسامرنا حتى طلوع الشمس، حينها قطعنا وعدا على أنفسنا بأن نغامر سويًا، بأن نستسلم لمشاعرنا، بأن نخاطر في احتمالات حبنا.

قفزت إلى عقلي تلك المرة التي أرسلت لي فيها صورتك وأنت ترتدي القميص الذي أحبه، وتلك المرة التي أخبرتك فيها أن تغير ثيابك وتلتقط بعض الصور ليتحسن مزاجك، هذه الصور هي الأقرب إلى قلبي.

تذكرت أيضًا كيف كنتُ أخبرك أنى لا أحب لحيتك الطويلة، والواقع يا حبيبي أنني وددت لو تتخللها أصابعي.

أحبك، حبني وعد لي وكن لي.

***

الرسالة الثامنة والخمسون

عزيزي، كيف هي ليلتك؟ كيف هي بدوني؟

أعلم أن رسائلي لا تصلك لذلك لا أَمَّلُ ولا أمل من تكرار ذكر

اشتياقي وصبابتي. أشتاقك، ولا يعينني على الصبر إلا فكرة أنك موجود على الطرف الآخر من العالم.

لا أخفيك سرًا كما لم أكن أخفيك قبلا، يكاد قلبي يقتلني، ويكاد عقلي يفتك بي بلا هوادة، يتساءل قلبي أين أخطأنا، أين أخطأنا وقد كنا كروح في جسدين، ولا نتشارك أي شيء إلا جعلناه أكثر بريقًا ووهجًا وروعةً.

ينهال سوط عقلي بكل العبارات التي كنت آخذها منك على محمل الدعابة التي طالما طلبتُ منك التوقف عنها.

قُلتَ لي: "أفكر متى أترككِ حتى يتسنى لكِ وقت أكبر للتعافي دون التأثير على حياتك بشكلٍ سلبي"، "كنت أفكر مؤخرًا أن أبتعد وانسحب من حياتك"، "إخلاصك في حبك لي يجعلني أشفق عليكِ إذا لم نكن نصيب أحدنا الآخر".

يخبرني عقلي أن يا أيتها الحمقاء، قد كانت هذه خطته ورغبته ونيته منذ البداية.

لطالما سألتني بنبرة المستنكر المتعطش للثقة: "هل تظنين أن كل هذا تمضية وقت لا أكثر؟"، وعوضًا عن قيامك بإخماد خوف قلبي، أخذتُ أنا أطمئن حِسَّك، وكنتُ أجيب بأن مشاعرنا حقيقية.

يخبرني عقلي أني عكست حقيقة مشاعري عليك حتى رأيتك

صادقًا بينما ملايين العبارات قالت عكس ذلك.

فينهال قلبي بالمواقف المضادة في لحظتها؛ إذا لم يكن حقيقيًا، إذًا لم كان يحارب النوم من أجلي، إن لم يكن حقيقيًا إذا لم أخبرني أنني مصدر راحته وموضع سعادته ولم يكون بين يدي طفلا غير الذي يعهده عند أي أحد آخر، لِمَ أخبرني أنه لا يتخيل كيف سيتصرف إذا تركته؟

هل السؤال يا عزيزي أين أخطأنا، أم أين أخطأتُ أنا، أم لِمَ اخترتني لأكون أحد بيادق لعبة حياتك؟

كل هذا يفتك بي فتكًا شنيعًا يكاد يودي بي، ولكني مازلت أشتاقك. سئمت هذه الأفكار، ولا يزال شيء ما داخلي يخبرني أنك ستعود.

عزيزي، أحبك وأشتاقك.

حبني وعد لي، وكن لي

***

الرسالة التاسعة والخمسون

عزيزي..

عيناك رسائل حب هاربة من كتب الشوق المنسية، لوعود راحت ترسمها أحلام فتاة شرقية.

يبدو أن الألم أكثر إلهامًا من السكينة، أذكر أول تعارفنا، كنت أكتب كثيرًا عن حيرتي فيك وعن ألم قلبي واضطرابه، وعندما نال منا الحب كنت أكتب عنك ولك كثيرًا، ولكن بمعدل أقل، والآن أنت بعيد من جديد، أكتب لك كل يوم رسالة أو اثنتين أستعيض بهما عن سماع وقراءة كلماتك اليومية، لا تزال صورتك تدفئ قلبي.

"يجرى إيه لو يوم هجرتك وجيت ثاني يوم قولت لي أني وحشتك؟ السحاب بعشق بياضه عشان زي قلبي في قربي منك"

عد لي وكن لي وكن بي

أحبك.

***

الرسالة الستون

عزيزي...

إياك أن تسأم معزتك وعزتك عندي.. كيف حالك؟ اليوم أخطو خطوة جديدة في دراستي ولأول مرة لست معي لتطمئن

قلبي، لتخبرني أن كل شيء سيكون على خير ما يرام، وأنني سأصقل الاختبار وراء الاختبار، لتؤكد لي حقيقة أن لا شيء يفوق قدراتي.

ولكنك لست هنا ولم تسأل، لم أكن أعلم أنك بهذه القسوة أم أنك تعاقبني على ابتعادي خطوات عنك؟ على تخفيف وطأتي على قلبك؟ ألم نتفق أن نظل أصدقاء؟ فأين واجب الصداقة؟ ألم تعدني أني سأكون دومًا طفلتك الصغيرة؟ فأين حنان وعدك؟ أم أنك كنت تلقي الكلمات دون وعي ودون مسئولية؟

أَفَضل فكرة أنك تعاقبني على فكرة أنك جبان مخلفٌ للوعود، فأنا لا أَتحمل حقيقة حبي لرجل مزيف.

ها أنا أكتب لك وأسألك، وأعلم أنك لن تقرأ ولن تجيب، أخاطبك داخل عقلي بدلا من توجهي لسماعة الهاتف لكي أسمع صوتك - الذي سيتبعه ندم مني لأنك لن تجيب، أو سيتبعه ألم عميق لسماع نبرة غير التي اعتدتها منك.

هي روحي لك تشتاق ولا تجد منك مناصًا، هي روحي تريدك أن ترغبها بقدر رغبتها فيك.

عزيزي، ولا في عزيز غيرك

عد لي وحبني وكن لي.

***

الرسالة الحادية والستون

عزيزي يسعد صباحك،

كل صباح بوجودك يسكون أسعد، كل صباح في بعدك يمر أصعب، لا يزال لكلماتك وقع مختلف على قلبي، تكتب لي: كيف كان امتحانك؟، وأقرأها: أحبكِ يا كل حالي اشتقت لكلماتك.

لا يزال يؤلمني البعد، ألا يؤلمك؟ أظن أنني كلما مر عليّ الوقت أتخلص من إدماني لك، ولا يكبر في قلبي شيء إلا حبي لك... ولهيب اشتياقي.

حبيبي – وإن لم نعلنها وإن لم نتبادلها–، عد لي وحبني وكن لي.

***

الرسالة الثانية والستون

عزيزي...

أفكر أن أستهل خطاباتي بنداء آخر غيره، سأستهل بـ "حبيبي"

من الآن فصاعدًا.

هل جربت يومًا أن يسحبك النوم بعيدًا عن وجعٍ قلبك؟ وكأنه يربت على كتفك بأن لا بأس، يمكنك أن ترتاح قليلًا حتى تستطيع إكمال معركتك على أحسن وجه.

لم أعرفه إلا اليوم، وكأن الدنيا قد أصرت على إكمال دروسها معي عن طريقك ولم يطب لها أي شيء آخر، ولم يكفها ما مر بي إلى الآن.

أتساءل متى ستكتفي الدنيا مني ومن تلقيني الدروس درسًا بعد الآخر في هيئة بشر؟ وكيف لي أن أصل إلى ما قد قنعت به من معرفة الحياة؟ بأنها رحلة، وحبذا لو كانت مع رفقةٍ صادقة، لم أطلب من الحياة رفيقًا وأهدتني إياك، والآن بعد أن عرفت حلاوة الأنس والأنيس، تبعدك عني بكل قسوة.

أترى هنا ما أراه يا حبيبي؟ قد ألوم كل شيء - نفسي والدنيا والناس- على فراقنا، لكن لا ألومك أنت، رغم أنك من رأيت يدي تفلت من يدك ولم تحرك ساكنًا، ولم تمسكها رغم صراخي بأن لا تتركني.

***

الرسالة الثالثة والستون

حبيبي، كيف حالك؟

كيف هو قلبك وكيف هي عيناك؟

أحيانا أتمنى لو كنت من أولئك الذين يشغلون أنفسهم بقضايا كبيرة، السياسة ربما، أو التاريخ، أو الفضاء، وكل ما هو مثلهم من أمور جلل. ولكني أجد نفسي تنجذب بشكل سحري لكل ما هو متصل اتصالاً مباشرًا ببني البشر، أجسادهم ونفوسهم وعقولهم. ولكن لم يشغل بالي أحد قدرك أنت. أنام وأنا أفكر فيك... أقرر أن أتوقف عن التفكير... تظهر في أحلامي... أفكر فيك حينما أستيقظ وبعد إفاقتي. كل رأسي أنت.

اشتقت لنا.

حبني وعد لي وكن لي

أحبك

***

الرسالة الرابعة والستون

حبيبي...

أخبرتك غير مرة أني أحب مشاهد الشروق والغروب، وأخبرتك في إحدى المرات أني أرى الشروق يناسب الأصدقاء وأن الغروب ما خُلق إلا للعشاق والأحبة -ولا في حبيب غيرك-. كنت أتطلع لليوم الذي سنرقبه فيه معًا.

اليوم كنت أتأمل غروب الشمس من منتصف النيل، وأخذت أشاهد قرصها يتوارى خلف الأشجار رويدًا رويدًا.

أردت أن أمسك هاتفي وأتصل بك، كنت سأخبرك بأن المنظر جميل جدًا من هنا، يستحق أن تكون معي، يستحق أن يشهد حبنا هو الآخر، كنت سأخبرك أني أحبك... تراجعت... عكفت عن الفكرة.

هل تفتقدني كما أفتقدك؟ هل أشغل رأسك في كل وقت كما تفعل في رأسي؟

أحبك

حبني وعد لي وكن لي

***

الرسالة الخامسة والستون

حبيبي، عزيزي، غالي قلبي

ليس لدي من أحكي له عنك سواك؛ ولهذا أنا هنا.

بعدك على بالي يا قمري الحلو، لم يكن الحب يومًا في تفكيري وفي مخططاتي لمستقبلي، كنت أظن أنني على قدر عالٍ من التحكم في سياق سير حياتي، حتى جئت أنت. وآه منك يا حياةً روحي.

رأيت في حياتي ما جعلني أبغض الحب وأنكر على معشر العشاق هيامهم في بعضهم البعض، وما كنت أرى الزواج إلا مجرد عقد كتابي لكي أُعلِم الناس أني أصبحت أمارس فعلا جديدًا أحلَّه لنا الله ما كنت أمارسه قبل هذا العقد، حتى رأيتك أنت. وآهٍ منك يا عمري.

كنت أحب فكرة الحب لمجرد أنها فكرة، ولم أكن أتوقع أن يكون عيشها مختلفًا عن حبها. أحب نفسي وأنا أحبك، وأحببت كوني حبيبة أحدهم بفضلك، أخرجت مني جانبًا لم أكن أدرك أنه موجود.

عرفت يا حبيبي أنه من الأجمل أن نأخذ ما تعطيه لنا الحياة بصدر رحب وقتما يحلو لها، أليس كل هذا تقدير الله فوق كل شيء؟ وما أجمل أن تثق بالله، ولأني أثق بالله ورجوته، أعلم أنك ستعود كما أطلب، وواثقة أنا من أنني أجول في رأسك بين الحين والآخر... وفي كل الأحيان كما أحب وأتمنى.

انتقل رأيي من تسفيه الزواج إلى تقديسه، لم يجعله الله ميثاقًا غليظًا فقط لاطلاع الزوجين على عورات بعضهما ولا أحد سواهما، وإنما لشيء أعظم وأعمق من ذلك. نولد يا عزيزي ويولد معنا الحب، حب والدينا لنا وحب الله، ثم نلتقي بشخص تألفه الروح كما أَلِفتْ ذلك الحب الذي وُلِدَت به ولم تكن به ذات سابق معرفة. هو ذلك الحب الذي يجعلنا نتفانى ونبذل أجمل ما بداخلنا لمن نحب، أن نكرس الوقت والجهد لهم، أن نفضل ضوضاءهم على هدوء غيرهم. وكأن الله يريد أن يؤمِّن لنا من يرافقنا طوال رحلة الحياة، فننتقل من شريك - وهُم الأهل- إلى شريك -وهو الزوج- ومن رفقة إلى رفقة ومن ألفة إلى ألفة، ومودة، ورحمة، وود. ميثاقٌ غليظٌ بأن نكون دائما نعم الصحبة ونعم السند وأن نحسن المعشر؛ فحاشا لله أن يُغلظ حرمات أجسادنا وينسى حرمات قلوبنا.

كنت أعرف عني أنني شخص معطاءٌ بطبعي، أستمد سعادتي من ابتسامات الناس عندما يسخرني الله أن أكون سببًا في إماطة

الأذى عنهم، وأن أكون سببًا في تخطيهم عثراتهم، وعندما أُساهِم ولو بشكل بسيط أن تكون حياتهم أجمل.

قابلتك، وزادت قدرتي على العطاء أضعافًا مضاعفة، وددت لو أكون قادرة على أن أجعل الدنيا كلها تحت قدميك. ولكن يا حبيبي لا شيء مثالي، أبدًا. أردت كذلك امتلاكك، أن يكون كل شهيق وزفير لك لي وفي سبيلي، رغم إدراكي خطأ ذلك، رغم إدراكي استحالته. تمنيت لو أن أحدًا علمني أن البشر لا يُمتلكون. أحببت نفسي تلك التي كانت مستعدة أن تتخلى عن رغباتها فقط لتجعلك أسعد، كنت أقتطع من أنانيتي في سبيلك، وأصبح إنسانًا أفضل بسببك. ليس هذا هو الجزء غير المثالي، بل ما هو آت هو مكمن العطب. أنت تجعلني أُجن، أو الحب يفعل، لا فرق كبير. أنا وأنا المنطقية العاقلة، أفقد عقلي عندما يتعلق الأمر بك وبنا. فقد المنطق منطقيته أمامك في قلبي، وكأن الحب سبب كافي لجعل أي تصرف أبلهٍ منطقيًا رغم أنف العقل. وهذا ما أكرهه فيّ عندما أحب، وهذا هو جوهر الحب في نظري.

عرفتك، وزاد يقيني بحب الله لي، طالما يسر لي كل ما أحب بطريقته ودائمًا تقديره يفوق قدرة عقلي على إدراك حسنه، تمنيتك من الله سرًا فجئت لي بقدميك، والآن أنا أريدك لي ومعي وأن تكون لي كما أحب، وحاشاه أن يردني خائبة.

حبيبي، حبني وعد لي

كن لي وكن بي

أحبك.

***

الرسالة السادسة والستون

حبيبي..

يا كل أشواقي، كيف حالك؟

أصبحت أجيد الكذب، أضحك في اليوم خمس مرات على الأقل، وأخبرهم أني بخير وأني أصبحت أعرف كيف أعيش بدونك.

لا يرون داخلي وهو ينزف، ولا يعلمون الفرق بين أن أكون على قيد الحياة وأن أحيا حقًا.. ينكرون عليّ ساعات نومي الطويلة، ولا يعملون أني أكون مستيقظة بين أفرشة السرير أحاول تقبل فكرة عالم أنت لست موجودًا فيه..متى ستعود؟ هل ستعود؟ لا أعلم، ولكني أعلم أن لنا لقاء، وأنا أعد الأيام حتى ذلك اللقاء يا كل وَجدي.

غالي القلب، أحبك.

حبني وعد لي وكن لي

***

الرسالة السابعة والستون

حبيبي..

كل شيء باهت بدونك، وأكثرهم عقلي!

لا أدري ماذا أريد أن أكتب، أريد أن أتحدث معك وحسب، ربما أشاركك الصمت، أو أتأمل قسمات وجهك.

أحبك وأشتاقك وأتدفأ بذكراك وذكرياتنا معًا، في الأمس كنت أمر بنوبة فزع، أخذت أتفقد صورك -بنفس حب النظرات الأولى-، احتضنت هاتفي بقوة، وخلدت إلى نوم عميق. أحب كونك ترافقني -ترافق قلبي- في كل نفس أتنفسه وكل أمر أفكر فيه أو أنجزه، وأشتاق أن أكون رفيقة لك، وأن تشاركني كل شيء وأي شيء بحق، بعيدًا عن خيالي.

حبني...

عد لي ...

كن لي ...

***

الرسالة الثامنة والستون

حبيبي..

كيف حالك وكيف حال قلبك؟

أما زلت ترتاد النادي الرياضي الذي كنت ترتاده؟ هل حصلت على الجسد الذي تحلم به أم ليس بعد؟ أحبك كيفما كنت، ولكن لا تصبح ضخمًا كما وعدتني.

ويبقى السؤال يا غالي القلب، فكيف حال قلبك؟ هل تهتم بذلك الجزء الغض فيك؟ هل يوجد من يؤنس وحشته؟ هل يشتاق إليّ وإلى دفء قلبي؟ عسى ألا يجد دفأه يومًا إلا عندي، بين يدي، وبين أضلعي، وبين أحضاني.

ما أزال لا أدري ماذا أقول، فقط أتمنى لو كنتَ هنا، لأستقر وسط صدرك وأستنشق الأمان من عطرك، وأستشعر دفء جسدك.

كيف هي الشامة على جانب عنقك الأيمن؟ أود أن أطبع شفتاي عليها... تمامًا كما أفعل كل يوم في عقلي، كيف هم جيرانها؟

يقولون أن الإنسان لا يفارق أحدًا حقا حتى يتوقف عن حبه، وأنا أختار أن أحبك كل يوم، أحبك بما أنت عليه، كن دائما كما عهدتك.

حبني ...

عد لي...

كن لي ...

***

الرسالة التاسعة والستون

حبيبي..

أشعر بك حولي، وهذا يطمئن قلبي. فقط تخيل أثر وجودك حقًا!

***

الرسالة السبعون

حبيبي..كيف حالك يا كل حالي؟

صباح ناعس آخر يأتي، وأنت لازلت أول ما يخطر على بالي كلما فتحت عيناي، وأنا مازلت أخلقك وهمًا في جواري وألامس صدرك وأتدفأ به.

أُخبرهم أني توقفت عن انتظارك ولم أعد آمل منك شيئًا، بينما بين كل دقة قلب وأخرى أشواط من الشوق تقطع وأميال من الانتظار، فقط لأسمع منك... أي شيء.

غفوت من جديد... ورأيتك. كنا نضحك كما لم نفعل منذ زمن، أو كما لم أفعل أنا.

أحبك

حبني، عد لي، كن لي وكن بي.

***

الرسالة الحادية والسبعون

حبيبي، دفء قلبي وأمان حسي، كيف حالك يا كل حالي؟

هل إيماني بك في محله؟ أم أنني أوهم نفسي ببقايا حب لكي أظل على قيد الحياة، وكأن ما يحركني هو كل ذلك الأمل الذي يجتاحني أنك ستعود وأن مصيرنا لبعضنا مهما طالت الفرقة؟

لا أدري متى سأتوقف عن الاشتياق إليك، ولكني أتمنى أن يكون قريبًا؛ فنيران الحب في قلبي قد أحالته حطامًا، ولا طاقة لي بنيران الشوق فوقها فيستحيل رمادًا. أو لعلك تدرك جلالة ما كان مني إليك قريبًا، فتعيد وزن أمورك وترجح كافتي، فتعود لي.

اليوم مرضت، ولم أكن قادرة على فعل ما أفعله كل يوم، إلا فعلٌ واحد، هو التفكير فيك.

ربما إيماني بك وبعودتك ليس في محله، ولكن إيماني بالله وبتقديره حتماً في محله، وحتماً هو فوق كل شيء. أؤمن بأنه وضعك في قلبي لسبب وحده أعلم به، وقد استجاب لدعائي بأن قرَّبك مني شيئًا فشيئًا حتى ملكتني.

عندما تجلس ليلا في أمسية وحيدًا، ورغم ذلك تجد قلبك يبتسم، فاعلم أن ذلك هو أثر حبي. وعندما يبرد قلبك في ليلية مطيرة، تذكر أن قلبي يحبك، التحف بذلك الحب ودفء قلبك، فحبي وفير يكفي كلانا.

ماذا بينك وبين الله يا حبيبي حتى تحبك امرأة مثلي؟!

كن لي وكن بي.



الرسالة الثانية والسبعون

حبيبي..

أشتاق لك شوق البدايات الأولى، وأتلهف لك لهفة الحب الأول.

سأدعو الله ألا تهنأ بدوني، تبدو دعوة قاسية، ولكنّ فيها حبًا كبيرًا لو تعلم، فأنت محظوظ بحبي لك، وقد اختارك الله لأغدق عليك هذا الحب وحدك دونا عن سائر عن خلقه.

سأدعو الله أن تستغرق في التفكير فلا تجد إجابة لتساؤلات قلبك وعقلك إلا أنا، وأن تخوض التجربة وراء التجربة، فلا تكون هذه التجارب إلا محطات في طريق عودتك لي.

سأدعو الله أن يحفظ الحب في قلبينا دائما ما دمت نصيبي في الدنيا والآخرة، وإن لم تكن، فسأدعوه أن يحفظ عطاء قلبي ويجدده ويحفظ لي قدرتي على الحب، ويصرفك عن روحي.

ما أشبه الليلة بالبارحة يا عزيزي. حيرة في قربك وحيرة في بعدك. الثابت أني أحبك.

حبني وكن لي

***

الرسالة الثالثة والسبعون

حبيبي..

يجعل صباحك صباح الخير

اليوم أعددت كوب الشاي المفضل لدي، بالحليب والزنجبيل، لم أخبرك سابقًا أني أحببت الشاي بالحليب فقط لحبك له، أن أشاركك حبك للأشياء كان دائمًا أفضل ما يمكنني أن أفعله، ولكني كنت أفعلها بطريقتي؛ فأنت لا تحب الزنجبيل على الشاي، ولم تطق يومًا أن تجربه ولو لأجلي.

أجمل ما يميزنا أننا لا نريد تغيير أحدنا الآخر، ولكني أحب أن أشابهك كثيرًا، ولا أريد إلا أن تحبني أكثر.

أحبك

حبني وعد لي وكن لي وكن بي.

***

الرسالة الرابعة والسبعون

حبيبي..

أظنني سأتراجع عما قلت سابقًا، ليس الشروق حكرًا للأصدقاء فحسب - وأنت صديقي-، نسماته الباردة لها ذات تأثيرك عليّ.

كل ما هو جميل يستحق أن يشهد حبنا، نستحق أن يشهد حبنا، جمالنا يستحق مشاركته كل جميل يشبهه.

أحبك

كن لي وكن بي

***

الرسالة الخامسة والسبعون

حبيبي...

أعلم أنك لا تسأل عن حالي، ولكن ها أنا أخبرك أني بخير، أعيش أيامي كما اعتدت، وأمارس كل ما اعتدت ممارسته؛ كل تلك الأمور التي تجعلني أنا، التي تجعلني حبيبتك المجنونة، أرقص

وأغني وأقرأ وأكتب ولا أبكي إلا نادرًا، أضحك كثيرًا وألقي النكات وأطهو كل ما يحلو لي، أصير طفلة في جسد شابة بعقل عجوز رأت من الدنيا ما رأت.. أنا بخير، بأتم خير، ولكني لست سعيدة.

مر أكثر من شهر على فراقنا، رأيت منك ما يجدر به أن يزعزع حبك من قلبي، سمعت من عقلي أحاديثًا يجدر بها محوك من ذاكرتي، قلبي يغضب عليك كثيرًا وأحيانا يُحضّر نفسه لقتلك بداخلي، ولكني أجد لساني يلهج بالدعاء رغمًا عني أن يعيدك الله لي، وأجد صوتًا خافتًا مطمئنًا واثقًا يخبرني أنك ستعود، ويقينا عهدته من الله ولله يخبرني أننا لبعضنا وقلبي مطمئن لذلك، ستعود، سنجتمع، سنتحد... ستكون لي.

لازلت أطمئن عليك من بعيد، دون علمك، لا يزال حبك قائمًا في قلبي تمامًا كما لو أنك معي هنا.

***

الرسالة السادسة والسبعون

حبيبي..

"كل يوم في كل في حبك تزيد الممنوعات وكل يوم بحبك أكتر من اللي فات!"

يقولون إن لم يزدك البعد حبًا فإنك لم تحب حقًا، لم أشك يومًا في حبي لك؛ فقلبي يعلم جيدًا ماذا يعني الحب، ولكن ها هو برهان آخر.

تعلمت أن أشتاق لك دون أن أخبرك ودون أن أُظهر شوقي. أهدئ لهيب الشوق بذبذبات صوتك أحيانًا، صورك كثيرًا، ذكرياتنا التي تركتها لي أكثر، وآتي هنا إلى هذا الملف الذي تشبع بك درجة أنه حفظك خيرًا مني. أخرجك سطورًا وهذا أقل ما يليق بك، ولكن اللهيب لا يلبث أن يعاود الاتقاد.

أخبرتك ذات مرة أن إذا افترقنا وأصبحنا أصدقاء فقط لا أكثر، سيكون عليك أن تلتزم حدودًا لا تتخطاها، حدودًا هي عندي أكثر من غيري، حدودًا كانت قد أزيحت فقط لأجلك. اليوم أتمنى أن تتجاوز حدودي، أن تلعنها ألف لعنة ثم تنهال عليها بالتكسير؛ لتصل إليَّ من ورائها.

تجاوز حدودي إليّ.

كن بي وكن لي.

حبني وعد لي.

***

الرسالة السابعة والسبعون

حبيبي...

اشتاق لساني أن يناديك حبيبي، اشتاق قلبي أن يكون أول ما تصحو عليه وآخر ما تنام عليه.

مضى شهران يا حب قلبي... أعتقد أننا احتجنا هذا الوقت لكي نتخلص من تعلقنا ببعضنا البعض، فيظهر كل ما كان قد غشيه علينا هذا التعلق. لم أعد متعلقة بك، مازلت أحبك، ماذا عنك؟

أشعر أنني أكرر الكلمات كثيرًا، أكررها أكثر من اللازم، لا يهم سأكررها مجددًا.

لا تزال أول ما أفكر فيه عندما أصحو، لا تزال أفكارٌ عنك هي ما يأخذني إلى النوم، لا تزال رغمًا عني في دعائي، دعاء لك وبك. لم أكن أعي معنى أن ترزق حب قلب حتى رزقك الله حبي فأصبحتَ جزءًا لا يتجزأ من يومي ومن حياتي ومن كياني.

أعلم أني أظهر لك قدرًا كبيرًا من القسوة، وينوب هذه الوريقات الجانب الأكبر من الحنان والحب. أنا في انتظار اليوم الذي تعود إليّ فيه، تعود مطمئنًا وآمنًا ومؤمنًا وأمانًا لقلبي، هي أمارة واحدة

بالحب والاشتياق، كل ما يتطلبه الأمر أن تختارني، حتى لا نفترق مرة أخرى أبدًا.

أعلم أن الحب ليس وحده كافيًا، ولكنه الأساس الذي عليه يقرر الإنسان أن يبذل كل شيء آخر في سبيله.

"قد الحروف اللي في أسامي العاشقين... بحبك"

***

الرسالة الثامنة والسبعون

كيف حالك؟

كيف حالك وأنت تعاملني كالغرباء، كيف حالك وأنت لا تغادر رأسي؟

لماذا لا تغادر رأسي يا حبيبي؟ أصبحتُ أعلم الآن أنك خاوي القلب والروح، تتطفل على ذوي الأرواح محاولا إكمال لوحة نفسك الناقصة، هل سترضى مظهرك وهو مُرَّقع؟ عدة أجزاء مسروقة من أرواح شتى، اختلفت وتشابهت في تفردها.

أشفق عليك.

يتبادر إلى ذهني كثيرًا ودون سابق إنذار كل ما عشناه، قد يكون

بسبب كلمة عابرة سمعتها في الشارع، أو دعابة سمجة ألقاها أحد أقاربي، أو طبق كشري.

أتذكر بعدها كيف جرحتني وأهنت روحي وكيف غرّبتني بعد أن وطنتني فيك، ولا يزال الثابت أني أحبك.

سئمت حبي لك، سئمته وأسقمني، ولا أريد مبارحته بعد.

اليوم قمت بمسح كل الأغاني التي قد تذكرني بوجع قلبي بسببك، لا أدري كيف سأهرب منها بمسحها وهي لا تفتأ تتردد في ذهني، ولكن لعلها محاولة أخرى للحفاظ على مستوى الاستقرار النفسي الذي وصلت إليه هذه الأيام.

كتبت لك مؤخرًا باللغة الإنجليزية، لا أعلم إذا كان علي ترجمتها وإرفاقها بهذه الرسائل أو أرفقها كما هي، لم أقرر بعد ولا أرى ذلك مهمًا، رغم حبي وتشربي للغة العربية، إلا أني أجد عقلي يخاطبك أحيانًا بالإنجليزية، في النهاية كل لغة لها وقعٌ مختلف عندما يتعلق الأمر بالحب.

سأحفظ تاريخ اليوم ونادرًا ما أفعل ذلك، اليوم يا حبيبي هو الخامس والعشرون من آيار/ مايو. يراودني ذلك الإحساس العميق أن روحك ليست بخير، سأحفظ التاريخ لكي أتأكد من حدسي إذا شاء القدر واجتمعنا من جديد.

أشعر أن عليّ كتابة رسالة أخرى أخبرك فيها ماذا غيّر نبرتي وكيف توقفت عن الدعاء أن تعود. عندما أكون مستعدة سأفعل؛ فكما تعلم لا أستطيع الكتابة إلا عندما تطاوعني نفسي.

أشعر أنني رويدًا رويدًا أفهم حكمة الله في حياتي، في كل ما حصل، ثم أعود لنقطة أشعر فيها كأنني لا أعي شيئًا من جديد. هذا لا يغير شيئًا من ثقتي وظني في الله، هو يقدر وهو يكفل وهو يحرس وهو الأعلم بكونه، وأشعر بالأمان حين أتذكر أني كون صغير مجتمع في جسد من مخلوقاته.

لا أدري كيف أنهي رسالتي الآن وكيف أتوقف عن الحديث، لو قلت أحبك فلن تكون بنفس صفاء سابقاتها، يختلط حبي ببعض السخط والغضب ولذلك لا أريد أن أقولها. ربما سأكتفي بأن أتمنى أن تكون إنسانًا جميلًا، جميلًا كما كنت معي، جميلا كما أظهرت لي. وأن تتذكر دومًا أن امرأة لن تتكرر أحبتك وكتبت لك رسائلًا في زمن سقطت فيه اللغة وتنكر فيه المحبون للحب.

كن جميلًا يا عمري.

كن بخير.

***

الرسالة التاسعة والسبعون

صباح الخير يا حبيبي، أو يا عمري كما يحب قلبي أن يناديك.

يبدو أنني أصبحت من محبي الشاي وعشاقه، أو أنني هكذا منذ زمن، ولكني اكتشفت ذلك مؤخّرا. ليس عشقًا عاديًا، بل تذوقًا خاصًا له. أجرب مؤخرًا الشاي بنكهة الخوخ وفاكهة الشغف. لا تستغرب اسمها لأنني قمت فقط بترجمته من الإنجليزية، ويروقني أكثر من اسمها بالعربية، تخيل أن تقضم قضمة واحدة منها فتكسب شغفك أو تستعيده! أظن أنها ستكون أغلى وأثمن الفواكه في العالم. بالمناسبة، اسمها العربي -أو الأعجمي على الأغلب- هو ماراكويا، سأضيفها إلى نكهاتي المفضلة مع القرنفل والنعناع والمانجو، أعلم أنك لن تحب تجربتهم، فلطالما كرهت التغيير.

أتذكُر تلك المرة التي أخذنا نعدد فيها نقاط تشابهنا؟ لم نستطع أن نتوقف، كانت لائحة لا تنتهي. كان منها أن كلانا لا يحب التغيير، ولكنه يتقبله كسنة من سنن الحياة، ولكن أعتقد الآن أنك تكرهه وليس فقط لا تحبه.

أتذكُر كذلك تلك المرة التي حاولنا فيها أن نفعل العكس، فنأتي

بالصفات التي تجعلنا مختلفين عن بعضنا البعض؟ لم نستطع أن نبدأ، ولكن بعد كل هذه الأشهر بدأت تظهر أمامي شيئًا فشيئًا، وكما تعلم، الثابت أني أحبك!

عمري، اشتقت أن أناديك باسمك عشر مرات متتالية في أحاديثنا، فتجيبني: "نعم يا حبي"، أعلم أنك تنادي كل أصدقائك المقربين بها، ولكني لم أجعل ذلك يمنعني من أن أجعلها تلمس قلبي. أذكر أدق التفاصيل والتنهيدات ولا أدري كيف لم تقتلني ذاكرتي حتى اللحظة.

اليوم استيقظت فزعة من نومي أكثر من مرة، شعرت أنك لست بخير، وكأن هذا الاتصال الروحي يأبى إلا أن يستمر، أريد وبشدة أن أطمئن عليك، ولكني لن أفعل، فمن أنكر حبي وهو سيد قلبي وهو بين ذراعي، سينكره ألف مرة وهو بعيد عن أحضاني، أتمنى من الله أن تكون بخير، ربما سأدعو لك وأحيطك بدعائي دون علمك، كما أفعل منذ أن التقيتك، ومنذ أن اقتحمتني.

رأيتك بالأمس وقد كتبت اقتباسًا على الفيسبوك يقول بأن الرجال كالنبيذ، كلما كبروا ازدادوا حكمة، كنت سأتفق معك إلا أن عيني وقعت على الحرفين الذين أتبعتهما بالاقتباس، واللذان يتفقان مع أول حرفين من اسم حبيبتك السابقة -أعني من كانت

قبلي-. أعلم أن الأحرف قد تتشابه، ولكني أعلم أنك عدت إليها، ما لا أعقله هو كيف أنها سمحت لك بالعودة بعد كل ما جرى بينكما من تجريح. أو أنه لم يحصل، أو أنك فقط كنت تخبرني بما تهوى لا أكثر، أذكر تماما تلك المرة التي كنت تحكي لي فيها عنها، وكيف أنكما أصبحتما أصدقاء بعد ما هجرتها لأشهر عديدة دون مبرر يذكر، وأنها عندما رأتني مصادفة -قبل افتراقكما- واجتمعنا ثلاثتنا أخبَرَتكَ أنك ستقع في حبي. بعد ما سمعت كل هذا منك قلت لك أنك ستعود لها مرة أخرى، وحينها استهزأت بكلامي، ولكن يا لسخرية القدر، ها هي نبوءتي تتحقق! أنا حقًا لا أكترث لها على الإطلاق، رحم الله من عرف قدر نفسه، وأنا أعرف قدر نفسي جيدًا، هي لا ترتقي أن تصل إليّ!

كان من المفترض أن أخبرك في رسالتي هذه أشياء أخرى، ولكني ثرثرت كثيرًا كعادتي، عندما أبدأ لا يستطيع أحد أن يوقفني.

عليّ إذًا أن أذكر تلك الأشياء في رسالتي القادمة، هذه قد حملت الكثير!

كن جميلًا يا حبيبي.

***

الرسالة الثمانون

مرض رأسي، كيف حالك؟

من المثير للسخرية تجديدي نفس السؤال في معظم الرسائل رغم علمي أني لن أتلقى أية أجوبة، ولكن ما الضرر؟ فلم يشتكِ الورق من تكرار السؤال، والكتابة قد وجدت لتعوض ما لا نستطيع أن نعيشه حقًا.

أقرأ هذه الأيام كتاب رسائل إلى ميلينا. أكاد أجزم أنك لا تعرف من هي ميلينا ومن هو مرسل الرسائل، لم تكن يومًا قارئًا شغوفًا أو محبًا للأدب. عيب هذا الكتاب الوحيد أنه يحوي رسائل فرانز كافكا فقط، ينتابني شعور متفاقم بالفضول كلما أنهيت رسالة منه عن رد ميلينا، كيف كانت ترى كافكا وكيف كانت تتجاوب مع حالة الحب هذه التي لم يسعها العالم ووسعها الورق؟

"إلى اللقاء، قد لا يكون في فيينا، ولكننا نلتقي في الرسائل". وقفت أمام خاتمة إحدى الرسائل هذه وانخلع قلبي. أعتقد يا عمري أن الرسائل هي أسوأ وأقسى شيء يقوم به الإنسان عند استحالة أسباب الوصل الفعلية. ها أنا أذكر اسمك في وسط

حديثي كما اعتدت أن أفعل عندما كنا نتبادل أطراف الحديث حقًا، وهذا بالضبط ما أرمي إليه، أنت تعيش معي هنا على الورق، ولا أحد قادر -حتى أنت- أن ينتزعك مني هنا، أنت تعيش معي كل لحظة في أيامي -حتى ولو لم ترغب في ذلك- بوجودك في رأسي. هل تعلم أنك لا تبارح تفكيري في كل شيء، حرفيًا كل شيء (كانت كلمة "حرفيًا" إحدى لازمات لسانك وها هي تلازم خاصتي)، في الدراسة والقراءة والتسكع، أنت معي رغماً عن أنفي.

أعتقد أن حالتي أشد بؤسًا من حالة كافكا؛ رغم مرضه وبعده عن ميلينا إلا أنها كانت تبادله أفكارها ورسائلها، ولكن أنا مرضي أنت، ومرضي هذه الأوراق، ومرضي أني لا أبادلك هذه الأفكار، ولو فعلت لما كنت سأجد منك ردًا.

على أية حال، يبدو أنني سأمطرك مزيدًا من الرسائل التي لن تصل إليك، أريد أن آخذ فترة نقاهة من مواقع التواصل الاجتماعي، وكما تعلم، قد أنفصل عن الجميع، ولكن تظل راحتي معك - حتى وإن كانت وهمًا في عقلي!

كن جميلا يا حبيبي!

***

الرسالة الحادية والثمانون

حبيبي البعيد،

كيف هو الشوق في قلبك؟ أتمنى أن يكون ملتهبًا وأن يتعبك ليل نهار، صدقني أتمنى كل الخير والراحة لك... أتمناهم لك معي وحدي..كيف هي حبيبتك السابقة والحالية؟ لا بأس، يمكنك أن تتأرجح بين أذرع من تشاء من بنات حواء؛ فإنك لن تجد عندهم ما وجدت عندي على أية حال من الأحوال، لا أقول أنك ستعود لي عندما تدرك هذا، كل الأمر عند الله في علم الغيب، ولكنك ستظل طول عمرك تبحث عن راحتك التي كانت عندي ولن تجدها؛ فمثلنا يا عزيزي لن يُكرر. أحبك.

كيف أراك دائمًا أمامي؟

اليوم قمتَ برفع صورة جديدة على مواقعٍ التواصل، لم ينتفض قلبي كالعادة، شعر بألفة غريبة لم يشعر بها قبلًا. كيف يمكن للفراق أن يزيد ألفتي بك وحبي لك بهذه الطريقة؟

أتدري ما الشيء الذي أندم عليه؟ أو أتحسر عليه؟ أنني لم يتسن

لي أن أعيشَ لحظات أكثر متأملة في عينيك وفي قسماتك - وأعني لحظات فعلية وليس عبر شاشة الكاميرا - تخيل يا عمري لو وُلدنا عشر سنوات قبل ميلادنا، كانت قصتنا لتصبح أكثر جموحًا، أكثر حضورًا، وأكثر حبًا.

في الآونة الأخيرة، أو آخر يومين بالتحديد، أفكر كيف أنه لا أحد يعرفني، لا أحد حقًا يعرف ماذا أحب وماذا أكره وماذا أكون حقا وكيف أتصرف في المواقف المختلفة، لا أحد يعرف ما هي أغنيتي المفضلة أو طبقي المفضل، لا أحد يعرف متى أصمت وماذا يعني صمتي، أو لماذا أتكلم كثيرًا أحيانًا أو متى أرقص وكأن لا أحد غيري على الأرض، رأيت أني لا أسمح لأحد أن يقترب مني لدرجة أن يعلم كل ذلك، لقد أحكمت الوثاق على قلبي، أحكمته جيدًا وأرخيته لك.

أذكر تلك المرة التي تنزهنا فيها، وأذكر كيف طمأنت قلبي، قلت لي حينها أن أمك ستحبني كثيرًا، كم كنت ساحرًا ليلتها يا حبيبي!!

لو أنك فقط سمحت لنفسك أن تكون لي بنفس القدر الذي كنتَ تحتاجه لما افترقنا، فأنا وأنت نعلم أنك كنت تمنع نفسك من أن تظهر ضعفك، أنا وأنت نعلم أننا ما يحتاجه كلانا.

تعرفت على شاب جديد، لنا نفس الذوق الموسيقي، نتفق في تسع وتسعين بالمئة من الأغاني، كلانا يصغي للكلمات أكثر من اللحن. كنت أتفق معك في ستين بالمئة من الموسيقى. أفضل الستين خاصتك.

كن جميلا يا عمري، جميلا كما أعرفك وكما عهدتك.

***

الرسالة الثانية والثمانون

حبيبي الذي لا يهتدي قلبي لغيره، كيف حالك؟

اليوم أخبرتني إحداهن أن صوتي جميل جدًا، وعلى حد قولها فقد وصفته بـ "المريح". تذكرت حينها عندما كنت تقول لي بأن صوتي له تأثير مميز على قلبك، وتذكرت حينما قلت بأن كلماتي تأسرك وتذهب تعاسة عقلك، وعندما قلت لي أنك تستعذب كلامي، وأكثر تلك الذكريات حضورًا في رأسي هي عندما أخبرتني أنني وبعد كل هذه المدة من معرفتنا إلا أنني لازلت أستطيع أن أزيد ضربات قلبك، كم مضى من الوقت على عدم قولي أحبك؟ ها أنا أحبك هنا حتى يأذن الله فأريح عقلك بها مرة أخرى.

عمري، تعلم أني لم أكن أستخدم السكر في مشروباتي - وقد كان هذا موضع تشابه بيننا-، ولكن منذ أن رحلت عني وأنا أستخدمه، وكأن جسدي يحاول بأي طريقة أن يشابه تأثير وجودك على حياتي ببعض الجزيئات التي تسري في عروقي، ولا يسري في عروقي شيءٌ بقدرك!

تدهورت صحتي قليلًا في الآونة الأخيرة، لهذا اضطررت لإعادة السكر في حميتي، عله يجدي نفعًا.

عمري، "شي مرة تعال على قلبي بلا موعد!"

كن جميلًا دائما، قلبًا قبل قالبًا.

***

الرسالة الثالثة والثمانون

تعب قلبي، بالأمس انخلع قلبي بسببك، أي نوع من الأصدقاء هذا الذي يمزح مع صديقه بإشاعة خبر خطبته؟! بالله عليك كيف تختار أصدقاءك؟!

كنت لم أستفق كليًا من نومي حتى رأيت هذا المنشور يحتل صفحتي الرئيسية، وانهالت المباركات بعدها، شعرت بخنجر

يخترق صدري، بدأت ضربات قلبي بالتسارع أخذت يدي ترتجف، شرع رأسي بالدوران، وكأن روحي كانت تُنتزع مني.

لم أستطع أن أفعل أي شيء في يومي حتى قرر صديقك أن يتكرم علينا بإخبارنا أنه يمزح؛ وكل هذا لأنك تأخرت في الرد عليه بضع ساعات.

أيًا كان السبب، حمدًا لله على سلامة يدك من خاتم إحداهن، عرفت حينها أن حبي لك لم يتزعزع، وأن ولعي بك لا يزال في محله يا غالي القلب، لا جعلك الله لغيري وإلا فلتمت عازبًا وحيدًا بلا امرأة ولا أولاد.

أهي إحدى فترات عزلتك وتعبك؟ ألا تريد أن تتواصل مع أحد؟ هل ستنقطع عن مواقع التواصل فترة من الزمن؟ جيد، لعله يساعدك على تصفية ذهنك، ولعله يعيدك إلى أحضاني كما فعل أول مرة، ليتنا لم نفترق أبدًا، كنت وقتها سأرسل لك كل يوم رسالة أخبرك فيها بأني رغم بعدك أحبك، وأنك مهما ساء حالك فأنت في قلبي، وأنك مهما تغيرت أوضاعك فحبك ثابت لا يهتز.

عمري، أثق بالله، أثق بأنه يدبر لي الأمر، وأعلم أنه سيرضيني.

كن جميلًا، جميلًا كما عهدتك.

كن بي وكن لي.

❋❋❋

الرسالة الرابعة والثمانون

حبيبي، صباحك خير يا كل الخير يا ساكن قلبي رغما عني. كلما ظننت أنني أتقدم خطوات أكثر في سبيل تجاوزك، أصحو ذات يوم وقد بلغ اشتياقي حنجرتي.

لا أدري ماذا أقول، أنا في انتظار رؤية حكمة الله وراء هذا الحب غير المبرر.

❋❋❋

الرسالة الخامسة والثمانون

للمرة الألف، كنت على وشك أن أرسل هذه الكلمات التي سأكتبها تاليا إليك، كنت سأذهب لغرفة المحادثة الخاصة بنا والتي ملأها التراب، ولكني تذكرت نكرانك للعشرة والمعروف ونقدك للوعود التي كنت أحرص مني على التأكيد عليها، ها أنا أرتشف قهوتي المرة كما هي مرارة حبك وسأفضي بقلبي إليك، أو إلى الأوراق!

ضمن الأشياء التي أحتفظ بها عنك كانت إحدى الرسائل، تحدثتَ فيها كثيرًا، عن ترددك في أن تفتح نفسك لي وأن تؤمِّن على روحك معي وكيف أن كبريائي لا يناسبك، ليس هذا يشغل تفكيري؛ فأنت قد فتحت قلبك لي رغم كل شيء، ما يدور في رأسي هو أنك ذكرت خوفك من أن أحبك حبا يشلني، حبًا يدمرني.

أذكر حينها أني أخبرتك بأني أعرف كيف أمسك زمام الأمور بحزم، ولو أنك عرفتني بمقدار بسيط يا عمري لكنت علمت أني لست من النوع الذي يسمح لأي شيء أن يدمره، حاولت أن أوصل لك هذه الحقائق بمواقف من حياتي، ولكنك أبيت إلا أن تسمع صوت نفسك فقط.

وها أنا ذا يا حبيبي، أحببتك كما لم تحبك امرأة قلبي وكما لن تحبك امرأة بعدي، وها أنا فارقتك، وها أنا مضيت في طريقي وما زلت أمضي وما زلت أركض وراء أحلامي، وها أنا لا أزال أحبك!

أخبرتك في إحدى الرسائل التي وصلتك أني كنت قد كذبت عليك حين قلت إني لم أعلم معنى الحب قبلك، ولكنك تجاهلت الجملة، حبك لذاتك عماك عن أن ترى شيئًا إلا كونك أول حب في حياتي وأول افتتان، ما جعلك تظن أن مشاعري مؤقتة أو مزيفة أو أن حبي سخيف، لم تكن أول افتتان في حياتي، ولكنك كنت أول

رجل أكون على استعداد تام أن أمضي عمري معه، كنت أول رجل رأيت فيه أننا سيجمعنا شيء أكثر من الفراش، لا أدري لماذا أقر بكل هذا الآن، ولكن لأصدقك القول؛ فأنا أشعر بأن هذا الكلام سيصلك ولو بعد حين.

في الأمس طرحت إحدى صديقاتي سؤالًا آلمني، ليس لأني لا أعلم الإجابة، بل لأني سألت هذا السؤال لنفسي مرارًا، قالت: وأنا من سيكتب عني وعن مقدار الحب الذي في قلبي وعن جمال روحي؟ لم تستغرق الإجابة وقتًا أكثر من ثانيتين حتى قفزت إلى عقلي وكنت على وشك أن أخبرها بها، ولكني تراجعت، لم أرد أن ألفت الأنظار لقلبي، كنت سأقول: أحبي كاتبًا يا عزيزتي؛ فإن معشر الكتاب أناس حالمون، ولذلك يسهل خداعهم، وهم في حالة بحث دائم عن مادة تشبع إبداعهم.

تخيل يا عمري، على الرغم من قسوتك وغيابك وحيرتي فيك إلا أن مصيرك هو أن تُخَلَّد في بعض الوريقات بأفضل ما قد يوصف به رجل وأنت لم تتجاوز الثلاثة عقود من عمرك، بينما أنا على جمال روحي ورقة قلبي وشدة حبي لك لم أحرك قلم أحدهم، لا يهم، يكفيني تحريك قلوبهم.

على أية حال، أغبط من يعرف كيف يلجأ لشيء غير الورقة

والقلم لكي يفرغ قلبه، أو يخفف حمل قلبه؛ فيا حبيبي لا أحد يتقن الكتابة إلا عندما لا تسعه قلوب من حوله، كيف لوريقات أن تسع مالا يسعه حجم لا نهائي من المعجزات؟! وحينها تصبح الوريقات أقرب شيء إلى نفس صاحبها، فإذا ضاعت ورقة، أو تآكلت بفعل الزمن، تآكل معها جزء من روح كاتبها، وإذا اضطر الكاتب أن يمسح إحدى كلماته أصبح وكأنه يقتلع جزءًا من روحه.

أتتذكر عندما أخبرتك بأن رسائلي التي أرسلها لك هي قطعة من روحي؟ بالتأكيد تتذكر، هو الأمر كذلك يا عمري لنا جميعًا، وإن حدث وصادفت من تحرك قلمها لك غيري، فإن تحركه لن يكون بقدر حبي ولا بقدر تحرك قلمي، قلتها لك مرة في وجهك وسأقولها هنا مجددًا: لن يحبك أحد بالطريقة أو القدر الذي أحبك به، حينها استثنيت والدتك والآن لا أستثنيها.

يقولون "لا يفتي قاعد لمجاهد" وأنا أقول "لا يفتي فارغ القلب لمحب".

قلبي مثقل هذه الأيام يا عزيزي، حساسيتي تجاه كل شيء متفاقمة، لا أريد أن أدخل عامي الجديد بهذه الروح المتعبة، لا أشعر بالأمان... مرة أخرى. أشعر أحيانًا أنني تسرعت حينما أردت أن نكون معًا، كان عليّ أن أتعامل مع مشاكلي أولًا، تلك الفوضى التي

تحدثنا فيها وكنا نُطمئن بعضنا بأنها لن تؤثر علينا، هي كل ما أثر علينا يا عمري، في كل منا عطوب يجب أن نصلحها بمفردنا قبل أن نقحم أحدنا الآخر في حياتنا، ينقصك بعض المفاهيم الضرورية، وينقصنا بعض الاستقرار النفسي، لا يمكن لموجتين عاليتين أن يصنعا بحرًا هادئًا؛ لذلك يقيني بالله يخبرني أن أتريث، وأن أدع الأقدار تتصرف، بأن نجتمع بأجمل طرق المصير، لتكون قصتنا كما تمنيتَها يا حبيبي، مبهرة، نحكيها لأولادنا وعيوننا تلمع، تمامًا كما كانت تلمع عندما تقابلنا أول مرة.

أشعر أحيانًا بالامتنان لك، ليس لأنني أحببتك أو أحبك؛ فهذا أمر مفروغ منه، بل لأنك لم تقبل أن نعود عندما طلبت منك، شكرًا لهذا الوقت، علَّه يفيدك كما هو يفيدني، عساه يكون عقلك الكبير صاحب القرار الذي يصب في مصلحتنا في النهاية، وليس قلبك محدود السعة.

كن جميلًا، كن بي وكن لي.

***

الرسالة السادسة والثمانون

كيف حالك يا كل حالي؟

يقولون بأنك تعرف حبك عندما تفكر فيه وسط يومك وفي عز انشغالك، وليس عندما تتفرغ وتنفرد بك رأسك، لا أدري أي أمارات أخرى يجب أن تظهر أمامي حتى أكف عن الأفكار التي تنفي حبي لك.

عمري، أنت تحتل رأسي.

أغبياء هم من يظنون أن الحب يسكن القلب؛ أعتقد الآن أن الحب ينشأ في القلب، أو في المعدة - فراشات معدتي التي تسببها لي تقول ذلك - بعدها يتنشر الحب في شرايينك، يتغلغل في عظامك، وعندما يتفشى يستقر في رأسك، وإذا استقر في الرأس رسخ في النفس ولا مخرج لاستئصاله إلا بالموت أو بمعجزة إلهية، وعندها لا تُجدي محاربته، ولا انتصار عليه إلا باستسلام تام له. وأنا يا حبيبي جربت محاربته كثيرًا حتى استسلمت لجبروته عليّ، يبدو أن الحب هو الوحيد الذي يأتي الانتصار عليه بالاستسلام له، فيغدو الناصر والمنتصر والمنصور.

يقولون إن الحب رزق، وأنت رُزقت حبي في أنقى صورة للحب وجدت على سطح البسيطة، كنت قد توقفت عن الدعاء برهة من الزمان وعدت إلى ذلك مؤخرًا... أن يرزقني الله حبك كما رزقك خاصتي.

لا أشعر أنني مهووسة بك، نعم أفكر فيك كثيرًا ودائمًا وبلا توقف، نعم لا يزال صوتك يهز جدران قلبي، نعم لا أزال أحن إليك بلا مبرر وبلا مناسبة وأحن إليك في كل مناسبة، ولكن كما عاهدت نفسي سابقًا، بأني لن أسمح لك كما لم أسمح لغيرك أن تغير صفو قلبي ونقاء روحي، ورغم تغلغلك في عروقي، فأنا لا أسمح لك أن تعيقني، فقط أسمح لك، لذكرياتك المليحة، أن تمنحني بعض الإندورفين والسيرتونين، ثم أتوقف سريعًا قبل أن يتطرق عقلي إلى الأيام التي أوجعت قلبي.

لا أشعر كذلك أني متشبثة بأوهام حب زائف، بالطبع لا يعلم القلوب إلا الله، ولا أدري أكانت مشاعرك زائفة أم حقيقية، أما أنا فلم يكن هناك ما هو أصدق من حبي في حياتك، وهذا هو ما يهمني، فنحن على نياتنا نرزق يا حبيبي، لذلك لي دعاء آخر، أدعو الله أن يجعلك خير الرجال وخير البشر وخير مخلوق على وجهها ثم يكلل صبري وحبي باجتماعنا.

عزيزي، تمر الأيام ولا يزيدني البعد إلا حبًا وشوقًا ويقينًا بأني قد أضعف أمامك إذا رأيتك دون أن أبكي أو دون أن أعانقك.

أعلم كذلك أني لن أسامحك فورًا عندما تعود، سأعاتبك، وسأرفض قربك بعد كل هذا الجفاء والتعب، وبعدها سيذوب

قلبي لك تمامًا كما ذاب أول مرة، وستختفي أيام وسنون الحزن من قلبي، وسأحبك، كما لم ير رجل حبًا من قبل.

الجميل يا عمري أن الحديث لا يزال ينساب من قلبي إلى الورق دون أن أخطط لذلك، أنت في عروقي، أنا أحيا بك...وا أسفاه!

كن جميلًا بي ولي.

***

الرسالة السابعة والثمانون

لا أدري لماذا أعاتبك الآن، في الثانية والربع بعد منتصف الليل، لعله الأرق المصاحب لقلقي المرضي.

أتخيل الآن يا عمري أنك لم تحبني أبدًا، كيف لك أن تكون أحببتني وقد أخبرتني غير مرة بأنني سأظل ضمن خياراتك المتاحة طالما لم يجمعنا ميثاق رسمي، كيف لك أن تكون أحببتني والمحب لا يرى أمامه سوى من يحب.

يصبح المحبوب حلم اليقظة وحلم النوم، وذلك أكبر من الاستقرار عليه شريكًا ورفيقًا مدى الحياة.

وبعدها أتذكر حديثك معي، وكيف كنت مشتاقًا للحظة زواجنا

ومشتاقًا لابنتنا التي ستدللها والتي سنتنافس على حبها، أتذكر كيف خططنا للمستقبل معًا وماذا سندرس وكيف سنعمل وكيف سنقضي أجازاتنا، أتذكر كيف اتفقنا على كل ما يفعله المتحابون ويراه الناس مبالغةً، أتذكر اختيارنا ملابسا للمنزل متشابه، بل إن التصاميم محفورة في ذهني.

ربما يا عمري، يا قمري، انجذبنا لبعضنا لذلك السبب، لذلك الخلل المشترك بيننا، التناقض والتفكير، والتقدم والتراجع، الثبات والاضطراب، كلهم معًا في نفس اللحظة.

حبيبي، حتى في عطوبنا متشابهان.

حبيبي، حتى عتابي ينتهي بحبك كبيرًا في قلبي.

كن جميلًا بي ولي.

***

الرسالة الثامنة والثمانون

إنها الثانية بعد منتصف الليل مرة أخرى، وأنا على قدر أُنملة من أن أرتمي في صندوق محادثتنا وأُفرغ ثقل قلبي المحمل بالشوق والكثير من الألم وبعض علامات الاستفهام، ألا تشتاق؟ ألا تحن؟

لا بأس، سأتجاوز هذه الليلة أيضًا، تمامًا كما تجاوزت حقيقة أنك لم تهنئني في عيد مولدي، يقولون: الرجال يُعرفون في الفراق، ولكني لا أريد أن أعرفك قاسيًا هكذا.

تبًا لنرجسيتك، سحقًا لأمك وأبيك وكل من ساهم فيها.

تنقذني هذه الكلمات التي آتي وأنثرها هنا في تطبيق الملاحظات من أفعالي الحمقاء تلك.

***

الرسالة التاسعة والثمانون

مساء الخير يا عمري ويا قمري، الرغبة في الحديث إليك أصبحت مُلحة على غير العادة، غير أنني أتفاداها، أربعة أشهر وما زال عقلي يتقلب ذات اليمين وذات الشمال يا حبيبي، لم يمر يوم منهن لم أفكر عنك فيهن، كلما هَمَّت أصابعي بالتوجه نحو اسمك أرمي هاتفي بعيدًا، أذهب لأتوضأ وأناجي الله، أناجيه عن قلبي وعنك. أخبره أن صبري لم يعد يسعني وأن يلهمني مزيدًا من عنده.

كلّما هم عقلي بحملي على مراسلتك أخبره دائما بأنه فقط يستجيب لقلقي المرضيّ، وأن علينا الانتظار قليلًا حتى تهدأ النوبة

لا أكثر، لا أدري متى سأفلت زمام الأمور، ولكني لا أتمنى أن أفلتها أبدًا.

يختلف كل شيء ويظل الثابت حبك.

كن جميلًا، كن كبيرًا، كن لي وكن بي.

***

الرسالة التسعون

يقولون بأن للأحلام مغزى، وأن لا حلم بغير تأويل، فلماذا بربك ليلة ما قررت أن أتوقف عن انتظاري لك زرتني؟ وعدتني أنك ستعاود الاتصال بي.

كنت ممتعضة في رؤياي، وكأنني حتى في أحلامي قد سئمت من وعودك الواهية

عمري، ما يربط على قلبي أنني لا ولم ولن أعلق الآمال بك أو عليك، أملي وثقتي بالله، أثق به..يدبر الأمر.

***

الرسالة الحادية والتسعون

يا شاغل عقلي، لا أشتكي شغلك عقلي يا عمري، فهو يشعرني بأنك معي حتى وأنت بعيد، وحتى وقلبك مملوء بالجفاء والقسوة ونقض الوعود، أتساءل متى سأتوقف؛ صدقني حاولت، بلا جدوى، وكأن كل شيء قد صابته عدوى منك، كل حرف وكلِ صورة وِكل نفس، كل شيء ينطق باسمك ويتحدث عنك رغماً عن أني أخرسهم جميعًا.

أقول لنفسي أني تجاوزتك، ولكن يدي التي تبحث عن اسمك على وسائل التواصل الاجتماعي تقول عكس ذلك، هذا الدفتر الذي لجأت إليه لأسكت عقلي قليلا يقول عكس ذلك، ملف الحاسوب الذي يلم شتات ذكرياتنا وشتات قلبي يقول عكس ذلك، صوتك الذي يتردد في غياهب رأسي يقول عكس ذلك.

كل شيء في جوارحي يحبك ويشتاق، لا أريد أن أفعل أي فعل أخرق، سأحاول بكل جدواي ألا أفعل.

***

الرسالة الثانية والتسعون

عمري...

أبغض هذه الأيام كثيرًا، لم أعد أشعر بالتعب ولا يستطيع النوم أن يرفع عني حرج الهذيان، أعمل حتى لا أستطيع أن أكمل ما بدأت، أنا فقط أصبح "لا أستطيع" ولكنني لست متعبة، أشتهي النوم ولا يشتهيني، أستحضره ولا يحضر؛ حتى يصبح لديّ وقت شاغر للبحلقة في اللا شيء! ووسط اللا شيء تسيطر صورتك، فلا شيء يصبح أمامي غيرك، وكأن عقلي لا يكفيه أنك تسكنه، يريد أن ينفرد بك حتى تصبح الساكن الأوحد، ثم ينسى عجزه ومحدودية قدراته؛ فيشرع في محاولة خلقك أمامه، علّه يستطيع أن يلمس من بهاء خَلقتِك شيئًا يروي به ظمأ جسدِه، ولكنه كالعادة يفشل؛ فيكتفي بإعادة كل ما يعرفه عنك في شريطٍ مسترسل وصور متسلسلة -ويبتسم-، ويكتفي باستحضار طيفك في حالات يتمنى أن تكون سعيدة - ويبتسم-.

تتنفس رئتاه بشهيق عميق، ومع الزفير يتمنى لو أن باستطاعته أن يُرسل الروح في مَهمةٍ استطلاعية وتفقدية؛ فتصل إليك مهما بَعُدتَ، لن تشعر بها، ولكنّ طيفك سيشعر، ستعانقه روحي كما

أوصاها عقلي، ستُطَمْئِنُ طيفك المضطرب، وبهذا الاطمئنان تهدأ هي ويهدأ عقلي - ويبتسم -.

تبًا للأميال والمسافات، تبًا لكل ما يجعل العقل يتردد مرتين قبل الإقدام على ما يريحه، تبًا للكبرياء الذي لولاه ما كنا وما كان لعشقنا معنى.

وأهلًا وحياة، كل الحياة للسحر، الذي يلفنا ويسكننا ويحيينا ولا نجرؤ على مجابهته، اقتلاعه، أو هزيمته.

"دعيت الله يصبرني ونفرح باللقاء والدون، دعيت الله يصبرني إلى لقيا خوي البال"

***

الرسالة الثالثة والتسعون

عمري...

مرت خمسة أشهر... أعلم أننا لم نبلغ الخمسة أشهر، ولكني أتعجل مدة الفراق عسى أن تحمل في أعقابها لقاء.

لا أعتقد أني قد شكرتك سابقًا على ما أصبحت عليه بفضلك، كنت أؤمن بوجود الحب قبل أن ألقاك، وجودٌ سطحي عابر،

يذهب بسهولة مجيئه، بعد أن حاربت نفسي فيك وجاهدتها، وبعد أن رأيت الأمارات كلها، علمت أن الحب هو السحر، سحر يؤذي وهو ليس بمؤذٍ، وسحر شافٍ وما هو بدواء، سحر يبقينا على قيد الحياة.

حبيبي حتى ولو لم أكن حبيبتك، لا يُعيقني حبك عن الإقدام على أهدافي، يشفيني من جمود قلبي ولا يؤذيني سوى بأنك صعب المنال على سهولة الوصول إليك.

قبل أن ألقاك، كنت أرى الآخرين بعين التفحص، وكأني أريد أن أسبر غورهم لأصل إلى أعمق جروحهم بعد احتلالك عروقي أصبحت فقط أنظر إليهم بعين الحب، لا يهم عمق الجرح لأن الدواء واحد، وهو الحب.

أشعر بشتى المشاعر الآن يا عمري، وأنا التي كانت قد شارفت أن تكون آلة عمل متبلدة المشاعر، أصبحت أشعر بكل شيء، حتى السعادة، حتى وأنت بعيد، أشعر بكل شيء بجانب صورتك وصوتك، أفعل أي شيء فأتذكرك، يتصرف عقلي ويستحضر أية مشاهد عنك، أشاهدها وأبتسم، وأكمل ما بين يدي.

صادفني للتو نصٌّ مترجم يدور حول حب الفتيات لرجال شابهوا آباءهن، أنا لا أريد رجلًا مثل أبي، رجل يجيد الرحيل عن

الحب، في خاتمة النص تساءلت الكاتبة، ماذا لو أنني فقط مقدرٌ لي أن أعتاد الغياب؟!

***

الرسالة الرابعة والتسعون

صادفتك عيناي اليوم، لا يزال ينتفض، قلبي، عند رؤيتك

سرت نيران، أو ربما كهرباء، في عروقي كما هو اللهب عندما يصادف الأكسجين، لهب حبي وشوقي صادف أكسجين هيئتك..

اشتعلت الدماء في عروقي، شعرت بالحريق يمر بكل شبر من جسدي، شعرت بأجمل ألم قد يشعر به أحد على الإطلاق.

***

الرسالة الخامسة والتسعون

عزيزي، أفكر مؤخرًا في احتمالية أن يكون الحب مسمىً مموهًا لكل شعور سُلب منا في طفولتنا.

تلك الفتاة التي لم تعِ معنى وجود الأب يومًا، أصبحت تبحث

عن الأمان في أحضان العابرين، وتطلق عليه حبًا، وذاك الذي قست عليه أمه، أصبح يبحث عن الحنان في عيون العابرات، ويطلق عليه حُبًا وتلك التي لا يفهمها أحد، أصبحت تبحث عن بيت في قلوب البشر وبين أضلعهم، وتطلق عليه حبًا.

لعل الحب هو اللقاح، تمامًا كلقاح الانفلونزا، يتغير باستمرار كي يواكب حاجتنا. تعبث بك الدنيا ويداويك الحب، احرص أن ترتشف منه يا عزيزي بضع قطرات بين الحين والآخر، علّه يهديك إليّ مرة أخرى.

كن جميلا يا عمري.

❊❊❊

الرسالة السادسة والتسعون

حبيبي...

تزور أحلامي كثيرًا مؤخرًا وكأنك تطلب مساعدتي وتستنجد بي، أخبرتني أنك تغيرت كثيرًا، وأن هذا التغير يُثقل قلبك، كنت أتمنى لو تطول رؤياي أكثر، حتى أشبع من عينيك اللتان أعيتا قلبي شوقًا.

أنا لازلت هنا يا عمري، على بوابة قلبك، منتظرة إذنك بالدخول، وأنت لا تزال هنا يا عمري، بين ثنايا قلبي، منتظرًا أن تسمح لنفسك بالاستسلام وباستشعار الأمان.

يا قريبًا والحب في قلبي ويا بعيدًا عن يداي، عُد كي تقر أعيننا ولا تحزن.

طال الغياب... أحبك.

***

الرسالة السابعة والتسعون

عمري..

ارتأيت أن أبحث عن تأويل كل ما أرى عنك، فكما تعلم، ثلاث رؤىً متتاليات ليست مصادفة عابرة بشكل أكيد، وكما تعهدني؛ فهذه الرؤى أؤمن بها وأؤمن أنها طريقة من طرق اتصال الله بنا.

أما رؤيتي الأولى فكانت أننا نتراسل، والثانية أنك مهموم وحزين وترجو مساعدتي، والثالثة أنني أُحَضِّر لزفافي.

أما الأولى؛ فتفسيرها أنك مشتاق لي -ولا تدري كم ربط ذلك على قلبي- والثانية تفسيرها إزاحة ما بيننا من خلاف وانحلال

العُقَد بيننا وزاولها، والأهم من ذلك كله هو اجتماعنا وزواجنا، أما تأويلات الثالثة فكثيرة، وكلها مبشرة بالخير يا حبيبي. أول التأويلات هو سعادة قريبة وتحقيق للأمنيات -ويعلم الله أني لم أتمن شيئًا بقدر ما تمنيتك وتشهد عليّ صلاتي ويشهد عليّ سجودي ودعائي-، وثانيها هو المناصب المرموقة، وثالثها تغيير جديد في حياتي العاطفية أو العملية -وأنت تغيير سعيد في كلاهما يا عزيزي-.

أدعو الله أن ينير قلبي دائمًا بالبشرى وأن يثبته باليقين وأن يسعده بتحقيق دعواته التي ما فتأ يرددها في كل حال وحين.

بعد هذه الرؤى جاءتني واحدة أخرى، لم يكتمل جمالها بصورتك فيها لذلك سأذكرها بإيجاز، رأيت بيتًا جديدًا أسكنه بأثاث جديد، وكانت تغمرني السعادة، كل ما كان يجول بخاطري حينها أننا الآن قد زال من أمامنا حاجز يمنع اجتماعنا، وأيّد ذلك الشعور التأويل الذي وصلت إليه؛ فالبيت الجديد والسعادة فيه دليلان على خير كثير قادم وعلى تحقيق الرغبات وانفراج الأزمات وعلى حل الكربات، وربما يا عزيزي زواج قريب.

غيرتني كثيرًا يا عمري، درجة أنني أصبحت أُولي زواجي أولوية كبرى تضاهي أولوية العلم في حياتي، ولكنّي أعلم أن هذه

الأولوية مرتبطة بك، وإذا غبت عني غابت معك يا حبيبي.

أسأل الله أن يجعل تأويل رؤاي حقًا يا حبيبي.

كن جميلا يا عزيزي، كن بي ولي.

***

الرسالة الثامنة والتسعون

حبيبي، إنه أحد تلك الأيام مرة أخرى، لا أريد مبارحة غرفتي فجأة بعد طاقة مهولة من السعادة، هل أنا على شفا اضطراب ثنائي القطب؟ أو ربما حقيقة أني توقعت منك مراسلتي ريثما لم تحرك أنت ساكنًا هي باطنًا في عقلي ما جعلته يثور ضدي هكذا.

تراكم فوق رأسي الكثير والكثير يا عمري، ولو أنك فقط هنا لحُلَّ كل شيءٍ كما يُصَوَّرُ لي، فلا شيء يحتل رأسي بقدرك كما تعلم أو ربما حقا شُلَّ يومي وحطم روحي لهذه الساعات تعبيرك في منشور على مواقع التواصل الاجتماعي عندما قلت: "عليك أن تتخلص من كل مالا ينفعك ويؤذيك كما تتخلص من كيس البطاطا المقلية بعد الانتهاء منها". لا يسعني إلا أن أسأل نفسي، وأبغض هذه الأسئلة وهذه الحالة وهذا الرأس وهذا القلم وهذه الأوراق

التي تساعدني على تذكر كل تلك الأحاسيس، أتساءل: هل كنت بالنسبة لك كيس بطاطا مقلية؟ هل تخلصت مني كما تتخلص منه؟ فقط برميه وكأن شيئا لم يكن؟ غير أننا بشرٌ، من قلوب وأواصر، وتلك القلوب تبلغ الحناجر إذا أُلقيت الأواصر وضُرب بها عرض الحائط.

أتمنى أن يكون كل شيء قبل هذه الأحاسيس حقيقيًا، وأن تكون رأسي بهذه التساؤلات تعذبني قليلا لا أكثر، أتمناك حنونًا كما كنت، طيب النفس كما أراك وكما أحب أن أراك، أتمنى ألا أكون مشمولة في تلك العبارة القاسية والعادلة.

ولا يسعني إلا أن أختم بقول أحبك، فعسى الله أن يحفظ هذا الحب في قلبي إن كان عودك حميدًا أبديًا، وعسى أن ينتزعه من قلبي تماما كما زرعه إن كنت وهمًا. عروقي عيت من الاحتراق كلما تعلق أمر ما بك، وكل أمر يتعلق بك، وهي دائمًا في احتراق.

***

الرسالة التاسعة والتسعون

حبيبي، كيف حالك يا كل حالي؟

لاحظت أنني أقع دائمًا في حب الأشياء الصعبة، متعسرة المنال، نادرة الوجود؛ إذا أخذنا فواكهي المفضلة في عين الاعتبار، فأنا أعشق الكيوي والأناناس، ثمرتان من أغلى الثمار في القاهرة، وأعشق المانجو والتين الشوكي، وما يتوافران غير أيام قليلة في السنة، حتى عندما أردت أن أحدد مهنتي المستقبلية، وعلى براعتي في إتقان أي شيء يوكل إليّ، لم أرَ نفسي في مكان كما رأيت نفسي في كلية الطب، وقد كان بفضل الله، وهكذا أنت يا عمري، نادر الوجود، صعب المنال، ولا تلين إلا بمعجزة إلهية.

الجميل يا حبيبي، أن الله تعالى ييسر لي الحصول على ما أحب، بالطريقة المُثلى وفي الوقت الأمثل، ما هي إلا أيام ونعود بإذن الله أفضل مما كنا، لن يجعل ربي يقيني هباءً، حاشاه.

***

الرسالة المئة

مساء الخير يا عمري، الصداع يكاد يفتك برأسي يا عزيزي، لعلها إشارة على اقترابك ودنو عودتك، أريد وبشدة أن أسمع صوتك، أن أهاتفك، حتى ولو لن نتكلم، ربما ما أحتاجه فقط هو أنفاسك بجانب أنفاسي.

بالأمس شعرت وكأني طفلة صغيرة تائهة من والديها، ضممت صورتك إلى صدري حتى خلدت إلى النوم. بين كل اضطرابات حياتي، اضطرابي بك يعيد إليّ استقراري.

لا أريد أن أتوقف عن الكتابة إليك أو الحديث إليك أو عنك، ولكنه الصداع يا عزيزي، دائماً ما كان يشاركك فيّ.

أحبك إلى أن نلتقي.

***

الرسالة الحادية والمئة

حبيبي، كعادتي أضع يداي هنا ولا شيء محدد في عقلي أريد إلقاءه عليك، فلو كان باستطاعتي لأخرجت لك عقلي كله بما فيه من سوء وحسن وثبات وتردد وحب وبغض، فتتفحصه كما تشاء وقتما تشاء، ولكن حُكم علينا أن نستعمل واسطة بين العقول وهي اللسان؛ لذلك عليّ أن أتصرف وأشكل بعض الكلمات التي لن تُرضي مشاعري، ولكن علّها تصل إليك كشيء مما أريد.

مشاعري أكثر اضطرابًا هذه الأيام، أفكر أكثر من اللازم وأعزل نفسي عن الجميع أكثر من اللازم. كتبت لك رسالة طويلة ولا

أدري هل سأرسلها لك أم لا؟ ومتى سأرسلها وكيف سأرسلها؟ كلها قرارات لا أحد يشاركني فيها. فقط أنا وعقلي وقلبي نحارب بعضنا بعضًا، فأولنا لا يبالي ويحبك، وثانينا يخاف تفتق جرحه، وثالثنا يرى أنها محض هراء شاعري زائل ليس له معنى وفي وقت غير مناسب.

ها أنا في ذات الحلقة من جديد، أو أنني لم أبارحها أصلا، حلقة تبدأ بك وتنتهي إليك، ومركزها حبك، ودورانها يشكل قوة طرد مركزي اسمها كبريائي... تعبت يا عمري، أعياني حبك، ولا دواء لي إلا هو.

***

الرسالة الثانية والمئة

حبيبي، كيف حالك يا كل حالي؟

إليك مني رسالة أخرى، هذه المرة أرسلها لك مع الريح وقد عطرتها بعبق الشوق وعبق روحي وعبق كل أمل يجتاحني بأن تصل إليك سالمة فتجدك سالمًا، هذه المرة أجعل لرسالتي نسخة واحدة فقط سترسل إليك، أما الأخرى التي أكتبها لأصحح فيها ما يتعثر فيه لساني وقلمي فسأحرقها، علّ نيرانها تكوي موضع

الجرح الغائر في قلبي الذي سببته لي، وآه لو تعلم بأن حتى جرحك لي ذكرى منك كأي ذكرى أخرى، أستأنس بها وأسلي بها قلبي الذي أدمته صبابته.

حبيبي - وإن زادت بين روحينا الأميال وحالت بيننا- كثر الحديث المكتوم في صدري والذي لا يستحق أحد أن أبوح له به سواك؛ فكيف لبضعة أسطر أن تحمل كل هذا؟

سأختزل كل شيء في قولي الآتي: غالي القلب، كل شيء يتغير والثابت أني أحبك!

أنت أصبحت تسكن كل شيء حولي، لم يعد عقلي وقلبي يكفيانك، تلك الزاوية، وهذا الشارع، ذاك المبنى، وهذه الوريقات... كلها امتلأت بك، وما عاد لي قدرة على الخلاص منك، فكلما حاولت غرقت أكثر، وامتلأت رئتاي بعطن شديد ينافس الهواء عليها، فقررت أن أتوقف عن المحاولة، سأدعك تشاركني في كل شيء... هل أشاركك كل شيء أنا أيضًا؟

حاولت أن أخبئك في ملف صغير، أو غرفة مظلمة، أو دمية قديمة، أو تميمة حظ، ولكنك تفيض من الأشياء فيضا، هل أفيض من أشيائك أيضا؟ أم أنك لم تحاول تخبئتي؟

وهكذا يا عزيزي حال رسائلي وحالي معك، يبدأ بالشوق

ويمتلئ بالحيرة وينتهي بتساؤلات لن أعرف إجابتها، وأتمنى أكثر ما أتمنى أن أعرفها، وأتمناك أكثر ما أتمنى.

غالي القلب، كل شيء يتغير والثابت أني أحبك.

عودة

الرسالة الثالثة والمئة

السلام عليك ما دام على الأرض سلام.

فكرت كثيرًا، فيما إذا كان علي أن أحاول مرة أخرى أم لا، فيما إذا كان عليّ أن أستمع لصوت المنطق أم العاطفة؛ لذلك إذا كنت تقرأ هذه الكلمات الآن، عليك أن تصدقني عندما أقول أن إرسالها لك تطلب قدرًا هائلًا من الشجاعة، ولكن كما قال لي أحدهم يومًا: ما الذي لديكِ لتخسريه؟ حاولي مرة أخرى؛ فها أنا ذا أحاول مرة أخرى وكلي أَمل في أن يكون النتاج خيرًا.

مضى ما يقارب الستة أشهر على انفصالنا، كل شيء في حياتي على ما يرام تقريبًا؛ فأنا أقرأ وأرقص وأغني وأعمل وأكتب، والحياة تمضي بي كما هي دائمًا، تجاوزت فترة القلق المصاحب للانفصال من أمدٍ بعيد، وإذا كانت هذه الشهور قد برهنت شيئًا فسيكون أن مشاعري كانت أبعد ما يكون عن تعلقٍ واهٍ، لقد أحببتك، بصدق.

لا أدري إن كنت ستصدق ما سأقوله تاليًا، أم ستعتبره ضربًا من الخيال، ولكن لسوء الحظ يا عزيزي أنت بكل ما تحمله الكلمة من معنى قد سكنتني، كلما أفكر فيك أو أراك أشعر بعروقي وقد

اتقد فيها اللهب، وعلى شدة ألم الاحتراق هي شدة جماله، فما هو إلا دليل على أن الله قد زرعك فيّ وضرب جذورك في روحي.

عليك أن تعي أنني أستطيع أن أكون بخير بوجودك أو بغيره، ولا تستخلص من هذا إلا أن ترى أنني لا أحتاجك، أنا لا أحتاج أحدًا في حياتي، ولكني أريدك، أريدك فيها.

أعلم أن حياتنا لا زالت في بداياتها وأننا لا زال أمامنا الكثير لنخوضه ونتعلمه، تزداد طموحاتي كل يوم عن سابقه يا عمري، وأريد تحقيق العديد من الأشياء في حياتي، ولكني أريد تحقيقها وأنت بجانبي.

وكما تعلم بأن امرأة مثلي سيسعى خلفها الكثيرون، فقد سعى خلفي من سعى يا حبيبي، حاولت أن أضع أحدًا ما مكانك، حاولت أن أسمح له بأن يكون لي كما كنت أنت... لم يبدُ لي ذلك صائبًا أبدًا.

أعلم أن كلانا قد أساء التصرف في حق الآخر، جرحنا بعضنا بطريقة غريبة، غير مدركين لما نفعله بأنفسنا وببعضنا...ولكني لا زلت على يقين، بأن تلك العروق التي تحترق لرؤيتك لا تحترق هباءً ولا عبثًا.

لذلك؛ إذا كنت تشاطرني ولو جزءًا صغيرًا من مشاعري

الصادقة تجاهك، وإذا لم تستحوذ حجرات قلبك إحدى بنات حواء، لا تحرمنا هذه الفرصة يا عمري، لنعد لبعضنا من جديد مرة أخرى، ولكن هذه المرة غير سابقتها، عودة دون فوضى ما سبقها، عودة لا تحمل في طياتها سوى أن نكون إلى أن تفرقنا إحدى قوى القدر العاتية، وإذا كنت تسأل نفسك لماذا الآن فإن الإجابة لن تكون سوى ببساطة أن العالم إلى انتهاء منذ ولادتنا يا عزيزي، وحده الله يعلم متى ستنتهي أيامنا على الأرض، وأريد أن نتشارك أيامنا فوقها قبل تحتها.

لا أريد أن أسمع إجابة منك فورًا، رجاءً فكر قدر ما تحتاج؛ فإذا وافقتني فاعلم أننا أمام رحلة حب ملحمي، وإذا رفضت فاعلم أنني كما واتتني الشجاعة لأرسل لك هذا المكتوب ستواتيني الشجاعة لأنكر على نفسي مشاعري ولأنتزعك من جسدي مهما بلغ ذلك من الألم وتأكد دائمًا يا حبيبي أن امرأة لن يكررها الزمن قد أحبتك حبًا لن تختبره مع أخرى أبدًا.

ورجاءً، لا تمعن التفكير في تصرفي حيال ردك أو كيف سأتعامل معه، كل ما أحتاجه منك أن تكون واضحًا.

***

الرسالة الرابعة والمئة

حبيبي...

أرسلت لك رسالتي السابقة غير أنها لم تحمل كل الكلام الذي كان من المفترض أن تحمله، وأنا هنا أبوح لك برسالة لا أدري ماذا سيكون مصيرها، غير أني أتمنى أن تقع بين يديك بطريقة أو بأخرى فتعلم كل الذي دار في صدري وعجز لساني عن البوح به، ويا ليته باح به حتى ولو إن لم يكن سيغير الصورة كثيرًا.

"تغيرت أشياء عدة في الأشهر المنصرمة، وأتمنى أن يكون صدرك رحبًا أن يقرأ كلماتي حتى النهاية.

دعنا نبدأ بالتبرير الفارغ: لقد خفت كثيرًا، خفت من كلِ ما يمكن أن يحدث بعد تجاهلك رسائلي أيامًا عدة، خفت أن أُركن على الرف وأن يتراكم عليّ غبار الزمن؛ فهممت بفعل ما ظننته محسوبًا واتضح في آخر الأمر أنه من أكثر الأفعال تهورًا في حياتي، لا أستطيع أن أقول بملء فمي أني تركتك، لأني كنت أنانية بشكل كبير، كنت أفعل كل ما يرضيني ويُسكت صوت الخوف المتفاقم في عقلي، لقد لعبت الدور الأكبر في أن أُبعد عني شخصًا هو أقرب ما

يكون إلى قلبي... وهذا ما علمتني إياه هذه الشهور.

تعلم يا عزيزي أني لا أندم على ما أفعله عادةً مهما يكن، ولكن لو أنني سأندم على شيء في تلك الأشهر، فسيكون غيابك، وأنك لم تكن بجواري في أشياء كنت أحتاجك أكثر ما أحتاجك أن تكون بجواري فيها... ربما كنت تعاقبني، حقك ولا أعترض، كان من المفترض أن أتصرف بحكمة أكثر.

كانت هذه الأشهر كفيلة بأن تغسلني من أي ذرة تعلق مرضي بك، أتذكر؟ كنا خائفين أن تكون مشاعرنا محض تعلق لا أكثرً، ولكن ها هي ليست إلا حبًا خالصًا يا عزيزي.

أنت تسكن عروقي يا عمري، صوتك أو خيالك أو سيرتك من بعيد، كفيلة أن تشل أطرافي وأن أشعر بك تسري في عروقي كما تسري النار في الهشيم، وإني أشهد الله على ما أقول.

حاولت أن أنتزعك من عقلي كثيرًا، حاولت أن أخرجك منه بالكتابة، وحاولت أن أخرجك منه بالتوقف عن الكتابة، حاولت أن أتذكر لحظات الأذى التي أنهكت قلبي، وكله دون جدوى، كان حبك يكبر في قلبي كل يوم عن ذي قبل ورأسي لا يهتدي لوسيلة أو يجد فيه الرغبة للتوقف عن التفكير فيك، درجة أني استسلمت للأمر الواقع على روحي وتوقفت عن محاربة نفسي فيك على أمل

أن أنسى أو تتلاشى، ولكني لم أنسَ، ولكنك تأبى أن تتلاشى.

لم أستطع أن أنسى كيف كنت آتي إلى بابك مبعثرةً، مبعثرة الأفكار والكلمات والمشاعر، آتيك مبعثرة كل مرة فترتبني دون كلل أو ملل، لم أستطع أن أنسى خططنا للمستقبل ولا انتظارنا لليوم الذي نبدأ فيه خوض حياتنا جنبًا إلى جنب ولا شجارنا المتواصل حول اسم ابنتنا المستقبلية، ولم أستطع أن أنسى كيف كنت تنام قرير العين ونحن نتسامر ليلا، وكيف أنني كنت أشعر بضيقك وتعبك دون أن تنبس ببنت شفة...أنت في عروقي يا عمري، توغلت فيّ معنويًا وحسيًا...لم أعد متعلقة بك، ولكن أحبك...لا أحتاجك في حياتي، ولكن أريدك أن تكون فيها، بل أريدك أهم فرد فيها.

لقد تغيرتُ يا عمري، تغيرًا لم يكن ليحدث لولا الأشهر الست الأخيرة، علمت مواضع خطأي ومواضع صوابي، معك ومع غيرك، تغيرت كثيرًا والثابت فيّ أني أحبك.

لأجل هذا كله لا زلت أرى أن من حقي أن أعلم ماذا أكون أنا لإنسان رزقه الله حبي وأسكنه الله فيّ، فلو وقعت في نفسك موقعك من نفسي أتمنى أن تمنحنا فرصة أخرى، فرصة أكبر وأوعى وأحسن من سابقتها، فرصةً تكون فيها لي وأكون فيها لك ومعك دون تردد أو شكوك أو أي احتمالات سوى احتمال وجودنا سويًا.

لا تستعجل الرد يا عزيزي، ولكن لا تغب عني طويلا، لا تدع ردك يكون بسكوتك القاسي عن قلبي ولتجعل آخر ذكرياتنا حنونة. تذكر دائمًا أنني الفتاة التي أحبتك حبًا كلاسيكيًا في زمن كثر فيه الحب البلاستيك. على اختلافنا اتفقنا يا عمري...تذكر ذلك جيدًا.

أتيتك وأنا متجردة من كل ذرة غرور في كياني وأنت تعلم كم يشق عليّ ذلك، أتيتك متجردة من كل شيء، إلا الحب."

***

الرسالة الخامسة والمئة

قررت أن تكون تلك الرسالة هي الأخيرة إليك، ولكني كتبت بعدها أربع رسائل أخرى. عاهدت نفسي أن تكون رسالتي السابقة هي الأخيرة، ولكني ها هنا أكتب لك واحدة أخرى.

عزيزي، أردت يومًا الكتابة عن الحب، لم أعرف كيف أبدأ ووجدتني أكتب عنك،

يغلبني حنيني كل مرة وأكتب إليك، أنت الحب وإليك كل الحب، عسى ألا أغلب حنيني أبدًا.

***

الرسالة السادسة والمئة

لم أعتبرك يومًا مجرد عابر في حياتي، أو مجرد فصل في كتاب رحلتي على هذه الأرض، منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها وشيء ما أخبرني أننا سيكون لنا قصة فريدة، ومنذ تشابك أعيننا الأول قال لي ذات الشيء أنك ستكون مختلفًا. شيء ما في عينيك طمأن عيني التي قضت حياتها تستجدي الأمان.

أسأل نفسي أين أخطأت؟ وأنا أعلم تمامًا موضع خطأي، وأسأل نفسي لِمَ دائما تنجح في تخريب كل شيء؟ وأنا أعلم تمامًا أنها ستصلحه بعدها، ولكنها أحيانًا تصلحه بعد فوات الأوان، وأحيانًا يكون الخراب كبيرًا ولا تستطيع سوى إصلاح جزء ضئيل منه.

أين أنت وأين أنا؟

ساخطة على نفسي وعليك، ومشفقة أنا علينا، جئت هنا لأصب عليك جم غضبي من الحياة، ولكن كالعادة ينتهي الأمر إلى أني أحبك أكثر، وأطمأن بك أكثر، وأشتاق لك أكثر.

متعبة أنا يا عزيزي ولا أحد غيرك يستطيع إصلاح ما في رأسي،

وما في قلبي، لا أحد غيرك يستطيع إصلاحي.

كلامي غير مرتب تمامًا كما هي أفكاري التي لم أتكلف يومًا عناء ترتيبها معك.

ينتابني من الأنانية ما يكفي لأطلب منك أن تُسقط العالم الذي يتكئ على كتفيك وتأتي، اركض إليّ أو امش أو تعال حبوًا، ولكن كن على الطريق حتى أجد ما أغذي به الأَمل المتقد بين جوانبي، ذلك الأمل الذي يستحيل يقينا حينًا ويرتدي زي الأوهام أحيانًا أخرى.

لم أعتبرك يومًا مجرد عابر أو مجرد فصل في كتاب حياتي، رأيت فيك الثابت الوحيد والكتاب كله.

***

الرسالة السابعة بعد المئة

وكلما أقول انتهينا، نبدأ من جديد. أحبك.

***

الرسالة الثامنة بعد المئة

حبيبي...

نهايات الأعوام لها دومًا رونق خاص، ولا أعني ما تتزين به الأرض من حُلي الشتاء، إنما أعني الرونق الذي يعتري نفوسنا.

مزيج من التعجب لما أصبحنا عليه بعد مرور السنين، صورة جديدة لنا لم نكن نتخيل أن تغدو صورتنا، مع قليل من الفخر لما خضنا وساقنا حيث نحن، وحفنة ندم نتظاهر دومًا أننا لا نشعر بها بينما نحن نخبئها بحذر في أحلك زوايا القلب حتى لا تفتق جروحًا ضمدناها بصعوبة بالغة.

نهايات الأعوام يا عزيزي تحمل الامتنان للماضي والأمل بالمستقبل الذي لا شيء يدعو للتفاؤل حياله سوى أنه بين يدي الرحمن.

أنظر إلى نفسي آخر كل عام يا عزيزي، كل شيء تغير، كل شيء يتغير...الثابت أني أحبك.

خاتمة

هو عنيد جدًا، يُظهر عكس ما يُبطن، يخاف لجرح جديد أن ينبعث في صدره، يعلم أن بإمكانه أن يكون خَيِّرًا في أحيان كثيرة، ولكنه يفضل دور الشيطان في قصصه؛ كان يغفو بين ذراعيها مهما كان آرقا، كان قلبها يقتل شيطانه ويبدله إنسانًا مرة أخرى، علم حينها أنه يحبها، عندما رأى أن يتعلق بها وهو الذي عاهد نفسه ألا يفعلها مرة أخرى.

أما هي، فتتحدث بكل جرأة عن الهجر والفراق وقطع الأواصر، وحفظ القلوب من آلام الحب والأحلام المستحيلة، وما أن يغيب عنها يوما أو تبتعد عنه ساعة حتى يجن جنونها وينتفض قلبها وتتأجج نيران روحها، علمت حينها أنها تحبه، عندما رأت أنه الوحيد الذي يستفز لديها مشاعر الاهتمام وفروض الالتزام، وهي التي لا تبالي بأحد إلا نفسها.

كانت جريئة بطريقة مميزة، مُخاطرة من الدرجة الأولى ومحاربة من الطراز الأول، لا ترى المَخاطر سوى تحديات شيقة، ما جابهت إحداها إلا وقد علا مُحياها ابتسامةٌ فذَّة متيقنةً بأن النصر حليفها،

وما انتهت من تحدٍ إلا وقد عقدت العزم على ما يليه.

كان هو بالنسبة لها إحدى تحديات الحياة وأصعبها، تحدٍ هو التعرف عليه، ثم تقبله، ثم حبه، ثم الهيام به والاطمئنان إليه. تجمّعت عليها التحديات دفعة واحدة، روح المقاتلة داخلها دفعتها إلى الميدان دون هوادة... أخذت تفوز به معركةً تلو الأخرى... بعض الفوز أحزنها... كل معاركها أصبحت تنتهي به وإليه.

كان استراتيجيًا بطريقة مميزة، مُخطِطًا من الدرجة الأولى ومُفكرًا من الطراز الأول، لا يخطو أيّة خطوةٍ دون إمعانٍ للنظر، وتدقيقٍ للمعطيات، وتحليلٍ للمستخرجات، وتقديرٍ للمخاطر.

كانت هي بالنسبة له إحدى مخططات الحياة، مخطط هو التعرف عليها، ثم تقبلها، ثم حبها، ثم الهيام بها والاطمئنان إليها، تداخلت المخططات على بعضها البعض، فقد بعضها... تاه في بعضها... وأتقن بعضًا آخر. كل نتائجه أصبحت تنتهي بها وإليها.

لم يعلما أن الحب إذا استقر في القلب مَلك، ومحا ما دونه من سمات، وأصبح الدافع والهدف، والمُدافع والمُهاجم، والهائج والمستقِر، والمُخطِطَ والمنفِذ، والبيت والملجأ، كلهم في آن واحد.